

عشرون مقالة أعجبتني

(الجزء الأول)

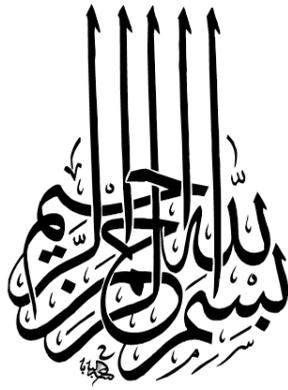
جمعها

عيسى بن سليمان الفيضي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م





إهداء

* إلى والدَيَّ الغاليين..

* إلى زوجتي وابنتي..

* إلى إخواني..

* إلى زملائي وأصدقائي..

* لكل قارئ ومثقف..

* لمن كتبوا هذه المقالات الجميلة..

* لكل من لديه الرغبة في جمع مثلها وأحسن منها..

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتولانا بتوفيقه
ورحمته، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً.

المؤلف





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأكرم، المؤيد بكتابه المبين، المتمسك بحبله المتين وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

فالقلم له أهميته في الكتابة ونشر المفيد من العلوم الشرعية وغيرها، وهو السلاح الذي لا يكسر، وهو السلاح الذي يمضي بدون بكلل ولا ملل، والصحافة الورقية والالكترونية مفيدة في هذا المجال ليكون خصباً جميلاً بما يزرعه القلم.

فإذا جمعنا بين الصحافة الممتازة والأقلام الجميلة خرجنا بفائدة عظيمة ومفيدة نستفيد منها ويستفيد منها القراء الأفاضل. فللقلم السيال مكانته في المجتمع لأنه يقف وراءه كاتبٌ رائدٌ يعرف كيف ينتقي الحروف والكلمات، والقلم الأعوج دائماً مقطوع الخير والبركة في حروفه ومفرداته، لأنه كسر بركة قلمه بزعايف عباراته ونتاجها.. والله المستعان وعليه التكلان.

محبكم

أ / عيسى بن سليمان الفيضي

Eisa850@hotmail.com

Eisa850 تويتز

Eisa850 سناب

Eisa850_ انستجرام





﴿ انطلاقة .. ﴾

لا بد لكل امرئ أن يتعلم كيفية كتابة المقالات، وكيف يبدع فيها وكيف يتميز قلمه، وكيف يكتب حتى يعتاد الكتابة بسهولة دون عناء يذكر، فقد يمر الأشخاص في هذه الحياة بالعديد من المواقف التي يضطرون فيها للكتابة عنها أو كتابة مقال ما لوصف شيء أو إيصال فكرة أو غير ذلك، فما هي عناصر المقال الأساسية وطريقة كتابتها؟

﴿ فما هو المقال؟ ﴾

يوصف المقال بأنه قطعة نثرية محدودة في طولها تتسم بالأصالة والتعبير عن الذات وتقدم لقارئها فكرة، أو موضوعاً، أو قضية جديرة بالمناقشة تحمل في طياتها الإقناع، والإمتاع يبرز فيها الانفعال الوجداني، وتكون عباراتها منتقاة وواضحة، وتتسم بخفة الروح ودقة الملاحظة.

﴿ العنوان: ﴾

يعد المقال من أساسيات العنوان، واختيار العنوان المناسب يعتبر عاملاً مناسباً لجذب القراء ونجاح المقال، ضع أقرب العناوين التي تفرضها نفسك عليك لكن ينبغي مراعاة عدم التكلف فيه والتأكد من وجود علاقة وثيقة بين مقالك وعنوانه

﴿ مقدمة المقال: ﴾

وهنا ينبغي مراعاة الأمور التالية: أن تكون البداية ممهدة للفكرة التي يتحدث





عنها الكاتب و يريد أن يوصلها المقدمة يجب أن تكون مجرد تمهيد فلا يصح دخول الكاتب مباشرة إلى صلب الفكرة.

❁ مضمون المقال «لب المقال» :

وفي المضمون يجب أن نراعي كل من ترتيب الأفكار وبنيتها التسلسل الجيد للنقاط استعمال الألفاظ المناسبة والراقية إدراج الصور والتشبيهات الفنية مراعاة علامات الترقيم التأكد من سلامة القواعد النحوية استخدام التعبيرات التأملية والصور الحالمة.

❁ نهاية المقال :

وفي نهاية المقال ينبغي مراعاة ما يلي: لا بد أن يختم الكاتب مقاله بطريقة توحى للقارئ أن الكاتب قد أدى رسالته المنتظرة منه في مكتوبة، وعدم إضافة أفكار جديدة تحتاج إلى تعبير، فأنت في الخاتمة تودع القارئ فقط.

❁ بعد الانتهاء من كتابة المقال اتبع ما يلي :

تأكد بأن مقالك يمكن قراءته بسرعة ويسر حاول أن تضع نفسك مكان القارئ دائماً، بعد الانتهاء من الكتابة أعد قراءة مقالك عدة مرات، نسق المقال عن طريق قيامك بتغيير بعض الكلمات والتعبيرات التي تشعر أنها غير مناسبة أو ركيكة أو أن غيرها أفضل.





المقالة الأولى

لا تقرأ كتاباً بعد اليوم! (١)

فعل القراءة يحوي مع الجمال طريقاً نحو الكمال، ويعزز الحرية الشخصية مع المسؤولية التامة عما يختاره القارئ، وفي كيفية التعامل معه، فضلاً عن فهم النص، وموافقته أو معارضته، إلى غير ذلك من التواصل مع معارف وحضارات وأزمنة سالفة أو قادمة.

وربما لا يطرأ على بال الإنسان القارئ أن هذا الفعل النفيس يمكن أن يتجاوز حدود التقسيم الثنائي: قرأت أو لم أقرأ، وقد لا يتصور الكاتب أن الاستغراق في القراءة تعيق عملية الكتابة، وتحول أحياناً بين الإنسان وبين المضي في إجابة دواعي الكتابة، ولذا فقد تكون النصيحة الثانية للكاتب بعد اقرأ: توقف عن القراءة من فورك!

وما أكثر الكتب على رفوف المكتبات الشخصية والعامة، وفي كل مكان من بيوت المثقفين مما يحنق الزوجات والأبناء، هذا غير ما يطبع يومياً من كتب متنوعة في كل فن، فهل يقدر المرء على قراءة أغلب هذه الكتب بله كلها؟ وكيف يمكنه تجاوز ذلك بما ينفعه ولا يشينه؟

هذه الأسئلة وغيرها، يطرحتها بجرأة، ويجب عنها بإبداع، الأكاديمي وعالم النفس الفرنسي بيير بايار، في كتاب مثير صارخ العنوان: كيف تتحدث عن كتاب لم تقرأه؟ صدرت طبعته العربية الأولى عن دار كلمات عام (٢٠١٦م) وترجمها

(١) أحمد بن عبد المحسن العساف، الثلاثاء ٢٨ / رجب / عام ١٤٣٨ هـ (صيد الفوائد).





غسان لطفي، ويتكون من مقدمة للمترجم وأخرى للمؤلف، ثم ثلاثة أقسام، فخاتمة ويقع في (٢٦٠) صفحة من القطع المتوسط.

هذا كتاب فريد في بابه، ويستحق عناء قراءته، هكذا افتتح المترجم مقدمته، واعترف بأن عنوان الكتاب جعله يقطّب مغضباً من أول وهلة، ولم تمنعه الصدمة من قراءة الكتاب، لعراقة الدار الفرنسية الناشرة له، ولمكانة المؤلف في عالم الأدب.

ويختصر المترجم غاية المؤلف إلى نزع "القداسة" عن القراءة، وعن الكاتب، والنص، والنقد، مع تخفيف حدة الشعور بالذنب تجاه كتب لم يستطع الواحد قراءتها، واعتبار النسيان جزءاً من القراءة وليس آفة لها.

ولأجل تعزيز هذه المفاهيم سعى المؤلف إلى تجاوز الثنائية في تقسيم القراءة إلى فعل وعدم فعل، وأعاد النظر في مفهوم القراءة واللا قراءة.

وقال المؤلف في البداية إنه تعرض إلى مواقف مزعجة، حين يطلب منه التحدث عن كتب لم يقرأها، أو يكتب رأيه عما ينشر من مقالات وكتب، وبعد معاناة وممارسة، تكونت لديه خبرة في فعل اللا قراءة، ورغب في أن يتشارك مع القراء في هذه الخبرة العميقة، وهذه المشاركة تستلزم شجاعة لأنها تخوض في مجال غير مطروق، وتتضمن صراحة يراها البعض محرجة.

❖ ويحاط فعل اللا قراءة بإكراهات عديدة، أشدها ثلاثة:

الأول: واجب القراءة كي لا نفقد تقدير الآخرين.

الثاني: ضرورة القراءة الكاملة، وازدراء ما دون ذلك من اختصار.





الثالث: الكلام على الكتب بعد قراءتها، والمؤلف يراهن على إمكانية خوض نقاش محتدم عن كتاب دون قراءته؛ وهذه ليست تسويقاً للدعاء الفج كما سيظهر لاحقاً.

ونجم عن هذه الإكراهات نفاق عام بشأن القراءة، فقلما يعترف إنسان بأنه لم يقرأ كتاباً مشهوراً، أو معروضاً للنقاش في ساحة عامة أو خاصة، وهذا النفاق ليس بين العامة بل يقتحم أوساط أهل الاختصاص، وعلة هذا الكذب على النفس وعلى الآخرين هي تجاوز الشعور بالذنب من عدم القراءة، وللتنفيس عن هذا الشعور أُلّف بايارد كتابه هذا.

✦ القسم الأول في كيفيات الاقراءة وطرائقها:

يتكون من أربعة فصول، حيث يعنى الفصل الأول بالكتب التي لا نعرفها، وما أكثرها؛ ولكن يجب ألا يحزننا ذلك، لأن القراءة تحمل في طياتها فعل لا قراءة، فعندما تمسك كتاباً فإنك تترك غيره من الكتب مهما بلغ تعدادها.

فأمناء المكتبات يجهلون مضامين كتبها؛ بيد أن النبهاء منهم يضبطون عناوينها وفهارسها؛ فيظهرون وكأنهم قرأوها، ولبعضهم فلسفة ملخصها أن حبه للكتب جعله يقف حذراً على تخومها، كي لا يجره اهتمامه الزائد بأحدها إلى الجور على غيرها.

وينقل المؤلف عن مكتبي حكيم قوله: إن من يحشر أنفه في الكتب ستخسره الثقافة والقراءة معاً! ولا مناص من النظرة الشمولية التي تنافي الاستيعاب الكلي، وتتجاوز فردية الكتاب إلى فهم علاقته بغيره من الكتب، والفهارس خير كاشف عن هذه العلاقات.





كما أن معرفة المجموعة التي ينتمي إليها الكتاب تساهم في تحديد موقعه بالضبط، وعليه فقد يكون ظاهر الكتاب أهم من باطنه! والحصيف هو من يميز بين مضمون الكتاب وبين موقعه بالنسبة إلى غيره من الكتب، وهذا التمييز محوري وحاسم تجاه معرفة الكتب دون حاجة لقراءتها صفحة صفحة.

ووضع الكتاب ضمن مكتبة جماعية يزيل الجهالة عنه، ويدخله في حقل إدراكي مناسب، وهذا هو المحك الحقيقي للحديث عن الكتب، ومن يفعل ذلك يمسك بجوهر الكتب، ويوقرها أكثر ممن يقرأ المضمون فقط دون بصيرة بالموقع، وأكثر بالطبع ممن يجهل المضمون والموقع.

الكتب التي تصفحناها هو عنوان الفصل الثاني، فبعض الكتب يكفيها التصفح، وكما يحتاج المثقف إلى معرفة طريقه داخل المكتبة، فحاجته أحياناً أكبر إلى معرفة طريقه داخل الكتاب الواحد، وكلما زادت مهارته في سلوك هذا الطريق نقص ما يحتاجه من وقت للبقاء في الكتاب.

ولذلك غدت القراءة أكثر مما يجب، صفة انتقاص يطلقها فاليري - أحد كبار المتصفحين - على بعض كبار القراء، والإفراط في القراءة حرماناً من ميلاد كاتب أصيل حصر نفسه في القراءة فقط، وكم أعرف وتعرف! وهذا من "أضرار" القراءة حين تصوير فخاً يأسر المبدعين بانتظار الإلهام أو الكمال.

وأما الفصل الثالث فعنوانه: الكتب التي سمعنا بها، ومختصره الاكتفاء بقراءة أو سماع ما يكتبه أو يقوله الآخرون عن الكتب؛ مما يحمي وقت القارئ من الانغماس في كل كتاب، ولعل الكتب والمجلات والكتّاب الذي يعرضون الكتب قد أعانوا على ذلك، وآمل أن تكون مشاركتي في هذا الباب نافعة وأمينة،





وأن تحفظ أوقات الآخرين؛ حتى يجدوا متسعاً من الوقت للعمل الرشيد.

وعنوان آخر فصل من هذا القسم الكتب التي نسيناها، وعامل الزمن حاسم في هذا الجانب، فكم من كتاب قرأناه ثم نسيناه، وربما نسينا أننا قرأناه يوماً ما؛ وبذلك تتساوى القراءة مع اللاقراءة، والنسيان قدر لا مفر منه، ولذا فحديثنا عن الكتب التي قرأناها أشبه بالذكريات التي تتغير وفقاً لعوامل الزمن والفهم، ويفقد فعل القراءة وجاهته بسبب هذه العوامل.

❁ القسم الثاني عن المواقف الخطابية:

وهو أربعة فصول كذلك، وعنوان فصله الأول في الحياة الاجتماعية، وملخصه أن الحديث عن أي كتاب والحوار حوله في المناسبات الاجتماعية، ينطلق من المكتبة الداخلية حتى لو لم نقرأ الكتاب محور النقاش، وهذه المكتبة عبارة عن مجموعة من الكتب تنتمي إلى مجموعة أكبر هي المكتبة الجماعية، وكل خلاف حول تقييم أو فهم كتاب ينشأ من الفرق بين المكتبات الداخلية للمتداولين.

أمام الأساتذة هو عنوان الفصل الثاني، وكثيراً ما يضطر الأساتذة والمثقفون إلى الحديث عن كتب لم تتح لهم فرصة قراءتها، ولكل إنسان كتابه الداخلي الذي يقوم بعمل المصفاة، وتقديم رؤية مسبقة عن أي كتاب، بناء على طريقة تكوين هذا الكتاب الداخلي الذي يؤثر في كيفية استقبال الكتب الأخرى، وتعود صعوبة المناقشة الجماعية لأي كتاب إلى اختلاف الكتب الداخلية لمجموعة النقاش.





الفصل الثالث عنوانه :

أمام الكاتب، ويرى المؤلف أن مواجهة الأساتذة الخبراء بالكاتب صعبة؛ بيد أن ما هو أصعب منها هو مواجهة المؤلف ذاته؛ لأنه قرأ كتابه حتماً كما نفترض، والحقيقة الغائبة هي أن بعضهم لم يقرأ كتابه؛ لأنه لم يؤلفه أصلاً! ونصح الكاتب بمجاملة المؤلفين الذين لن يتحققوا من دقة آرائنا.

وآخر فصول القسم الثاني عنوانه مع من نحب، وخلاصته أن للكاتب المشتركة تأثيراً عميقاً على العلاقات العاطفية، مما يزيد من الوفاق بين شخصين حين يشرعان في قراءة ذات الكتاب أو الكتب، ومن جرب عرف.

القسم الثالث ما العمل؟:

لا تخجل هو عنوان الفصل الأول، فلا علاقة بين قراءة الكتب والحديث عنها، وبين الفعلين انفصال تام، لأنه لا يوجد كتاب بمعزل عن موقعه في المكتبة الجماعية، ولكل كتاب موقع في المكتبة الافتراضية المبنية على التصور المسبق، التي تحررنا من صورة الثقافة الكاملة شديدة الطغيان، وليس لدينا يقين بأن كل متحدث عن كتاب قد قرأه فعلياً.

أما عنوان الفصل الثاني فهو افرض أفكارك، فعدم قراءة الكتاب هو الأصل عند المؤلف، والأمر الأكثر خطراً ليس قراءته؛ بل معرفة ما يقال عنه وحوله، وهو أمر يتسم بالحركية والسيولة التي تتغير بين حين وآخر، وتأسيساً على ذلك يمكن الحديث عن كتاب لا من تصفحه، بل من معرفة رأى الآخرين عنه.





ومن الضرورة للحديث عن الكتاب، معرفة الكاتب معرفة جيدة، والتنبه للسياق الذي ألف فيه، وهذه العلاقات المنسوجة حول الكتاب تملك سلطة في الحكم عليه لا يجوز إغفالها، وبهذا نستطيع مقارنة الكتب بكل ثرائها، دونما جمود على نظرة أولية ضيقة.

اختراع الكتب هو عنوان الفصل الثالث، ويؤكد بيير بايارد على أهمية الإحاطة بمآل الكتاب في الفضاء النقدي، وتعريف العلاقات بين النصوص والبشر، وهي علاقات حركية متبدلة، وهذا التبدل لا يمس قيمة الكتاب فقط، بل مضمونه أيضاً، وهي فرصة سانحة لمن أدرك كيف يستفيد منها في الحديث عن كتاب لم يقرأه.

ويمكن من خلال مزج الأصداء المختلفة عن كتاب واحد، اختراع الكتاب الشبح ضمن المكتبة الافتراضية، ويتميز الشبح بالغموض، وإضافة الجديد بناء على إدراكه ولو لم يكن ضمن الكتاب، مع القدرة السريعة على الاعتراف بالخطأ في حال الوقوع بورطة ثقافية!.

وآخر فصل من القسم الأخير عنوانه تحدث عن نفسك، وينقل المؤلف عن غيره أن مدة البقاء مع أي كتاب يجب ألا تتجاوز دقائق معدودة، ويكون اللقاء مع الكتاب فرصة لكتابة السيرة الذاتية، والانطلاق في فضاء الإبداع الرحب.

ويرى الكاتب أهمية الارتحال بين الكتب دون الوقوف عندها، وإطلاق العنان للأفكار والمواهب، وأن نتحدث عن أنفسنا من خلال الكتب، ونجعل القراءة تكأة للاشتغال على الذات، ونعتني بالجوانب الفردية الأكثر أصالة وتفرداً، وللمفارقة فالإغراق في القراءة تقتل هذه الجوانب.





والحديث عن كتب لم نقرأها بمفهوم القراءة التقليدي يجعلنا في قلب العملية الإبداعية كتابة، ونقدًا، وتحليلًا، وإضافة ما يمكن أن يؤثر على الكتاب والمكتبة بأنواعها المختلفة التي أشار إليها المؤلف، وسيجد القارئ الذي أزاح عن نفسه عبء المفهوم التقليدي للقراءة أن الطريق مفسوح أمامه ليكتب ويبرز قدراته وملكاته.

وفي الختام كرر بايارد مفاهيمه المنشورة في الكتاب، داعيًا المرء إلى أن يستمتع لذاته، ويحرر نفسه من القيود الثقافية الوهمية، ويتجاوز عقدة الشعور بالذنب لأنه لم يقرأ، ليصبح صانعًا للكلمة المبدعة، النابعة من نفسه، السالمة من أسر غيره، ومن التيه الدائم في أفكار الآخرين، لترتفع لدى الإنسان الجرأة على الكتابة.

وهذه الأبعاد تفتح لنا عالمًا جديدًا في النظر للكتاب وعملية القراءة، وهي محفزة تجاه هذا الفعل الراقى وليس حاضرة عنه، بيد أنها تعلمنا القراءة بذكاء، على الأنفع في مصيدة التشبع بما لم نعط، أو سمج الدعاوى، والأهم من ذلك إدراك علاقات الكتب، وأنواع المكتبات، بيد أن الفكرة الأسمى هي إطلاق العنان للإبداع الفردي بالكتابة، وإخراج مكنون النفس المفيد.

ومن الموافقات أني أكتب هذه الكلمات في مكة حيث نزل القرآن الكريم، وكانت القراءة أول كلمة وأمر في الكتاب الخالد والدين الباقي، وستبقى القراءة عملاً عظيماً يقع في دوائر الرغبة والادعاء والفعل، ومن لوازم القراءة، ومن بركات عدمها - حسب مفهوم الكاتب - تحريك الذهن واليد للكتابة، وتحرير هذه الموهبة من قيودها.





ولعل هذا الكتاب بمفاهيمه أن يفتح نوافذ إرشادية للقراء، فالقراءة مهمة لبعض الكتب، ويمكن الاستعاضة عن قراءة كتب أخرى بما أشار إليه الكتاب واستعرضته أعلاه، وقد قرأته قراءة كاملة، وكتبت عنه ما يمكن القارئ من الحديث عنه وكأنه قد قرأه تماماً حسبما أبان مؤلفه.





المقالة الثانية

اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم^(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، أما بعد :-
من أثر القرآن الكريم في اللغة العربية - راجع أثر القرآن الكريم في اللغة العربية
والتحديات المعاصرة د. محمد يوسف الشربجي، وأثر القرآن في اللغة العربية:
حسن الباقوري.

✦ المحافظة على اللغة العربية من الضياع:

السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم
بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة
قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم
من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة
توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم
الظلم والاستعباد ونزع من صدورهم الإحن والضغائن والأحقاد، فقد كان
القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي
حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم
صباح مساء، وليل نهار بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

(١) إبراهيم فوزي / شهر ربيع الأول / عام ١٤٣٨ هـ (صيد الفوائد).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣.





وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) ﴿١﴾.

تقوية اللغة والرقى بها نحو الكمال:

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقْتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال.

وفي هذا يقول العلامة الراجعي رَحِمَهُ اللهُ: «نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيرة معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم





صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيخ ولا قيصوم»^(١).

والشيخ والقيصوم نباتان من نبات البادية، يضرب بهما المثل، يقال: فلان يمضغ الشيخ والقيصوم، إذا كان عربياً خالص البداوة^(٢).

❁ توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة :

من المعلوم أن لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شك أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: «إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم» وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات كما ذكرت.

ينقل السيوطي عن الواسطي قوله: «... لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب»^(٣).

(١) تاريخ آداب العرب، الرافعي، (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٤م) ٧٤ / ٢.

(٢) انظر لسان العرب: (شيخ، قضم).

(٣) (باب النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز - ص ٤١٦ وما بعدها - الإتيان في علوم القرآن، تعليق د. مصطفى البنا (ط. بيروت).





ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيد لها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه».

❖ تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية:

العرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبحر إلا لتعود إليها.

وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.

يقول أ. د. نور الدين عتر: «وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم»^(١).

(١) المزهر في علوم اللغة العربية السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط. مصر).





تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة:

من الثابت المعروف أن العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لما ذهب بهم إلى الصحراء لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من ينبوع العربي الصحراوي الصافي. ولما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى...» فأمر عثمان يجمع القرآن، وكان قصده أن يجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي وإلغاء ما ليس بقرآن خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد، وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفرع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ.

وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها.





يقول د. عتر: «والسر في ذلك أن رسم القرآن جعل أصلاً للكتابة العربية، ثم تطورت قواعد إملاء العربية بما يتناسب مع مزيد الضبط وتقريب رسم الكلمة من نطقها، فكان للقرآن الكريم الفضل في حفظ رسم الكلمة عن الانفصام عن رسم القدماء»^(١).

❖ تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة:

العرب كانت أمة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلا القليل، فلا جرم كان في لغتهم الخشن الجاف، والحوشي الغريب، وقد أسلفنا عن الواسطي أن لغة قريش كانت سهلة لمكان حياة التحضر التي كانت تحياها في ذلك.

ولعل من يقرأ الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيماناً بما للحضارة من أثر ألفاظ اللغة فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيراً من مثل «جحيش» و«مستشزرات» و«جحلنجع» وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

والقرآن الكريم - فضلاً عن أنه نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة ونعومتها، فنزلوا عن حوشيتهم، وتوخوا العذوبة في ألفاظهم - قد تخير لألفاظه أجمل ما تخف به نطقاً في الألسن، وقرعاً للأسماع، حتى كأنها الماء سلاسة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم وحير ألبابهم، وأفهمهم أن البلاغة شيء وراء التنقيب والتعير، وتخير ما يكاد الألسن ويرهقها من الألفاظ، فعكفوا عليه يتدبرونه، وجروا إليه يستمعونه

(١) - دلائل النظام الفراحي - ط ٢، الدائرة الحميدية الهندية: ١٩٩١ م.





ذلك أن القرآن الكريم قد انتهج في تعابيره أسلوباً له حلاوة، وعليه طلاوة، تنتفي فيه الكلمة انتقاء، حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللغة العربية بمثابة اللباب وغيرها كالقشور، مما جعل ابن خالويه يقول: «أجمع الناس أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أصح مما في غيره»^(١).

ولا أدل على ذلك من المقارنة بين الشعر الجاهلي والإسلامي، أو الأدب الجاهلي والإسلامي، لتجد البون شاسعاً، والفرق كبيراً، فأقبلوا إليه يزفون، ومن بحره ورياضه يستقون وينهلون، ومن ألفاظ ومعانيه.

تنمية ملكة النقد الأدبي:

وذلك أن العرب كانت لهم أسواقهم المشهورة، ومعلقاتهم المنظومة، ومبارياتهم المعروفة، فلما نزل القرآن الكريم، ولأمس شغاف قلوبهم، وورقت له أحاسيسهم ومشاعرهم، فتغيرت أحكامهم وقوانينهم، فنقلهم من الفصح إلى الأفصح، ومن الجيد إلى الأجود، ذلك هو القرآن بإعجازه، فإذا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة وبهذه المكانة، وبهذا التأثير على العرب ولغتهم فنقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الذل والهوان إلى الرفعة والسؤدد، ومن التوقع والتشردم إلى العالمية والانتشار، ومن الحواشي والغريب إلى السهولة واليسر، ومن العامية إلى الفصحى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



(١) (تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان)





المقالة الثالثة

لحوم العلماء مسمومة^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، بلِّغ الرسالة وأدِّ الأمانة ونصح الأمة فجزاه اللهُ خيرَ ما جزى نبياً عن أمته، وصلواتُ اللهُ وسلامه عليه وعلى آله وصحابه ومن سار على هديهم الى يوم الدين .. وبعد:

لحوم العلماء مسمومة ومنهجية سلف الأمة في توقير العلماء، والتعامل مع الخلاف سار السلف على منهجية توقير العلماء وأهل الفضل.

عقد النووي: في كتابه (رياض الصالحين) باب توقير العلماء، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم.

يقول العلامة محمد بن صالح العثيمين: في شرح هذا الباب رياض الصالحين يريد المؤلف: بالعلماء علماء الشريعة الذين هم ورثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي عن بنته فاطمة وعمه العباس ولم يرثوا شيئاً؛ لأن الأنبياء لا يورثون إنما ورثوا العلم، فالعلم شريعة الله فمن أخذ بالعلم؛ أخذ بحظ وافر من ميراث العلماء.

(١) فذلة بنت محمد القحطاني / شوال / عام ١٤٣٧هـ (صيد الفوائد).





وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم نصيب من ذلك، أن يبجل ويعظم ويكرم، فلهذا عقد المؤلف: لهذه المسألة العظيمة باباً؛ لأنها مسألة عظيمة ومهمة.

وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس؛ ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة « انتهى كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ في شرح حديث: «يا عبادي إني حرمتُ الظلم ..»: (إن غيبة العلماء تُقلل من شأن العلم الذي في صدورهم، والذي يعلمونه الناس، فلا يقبل الناس ما يأتون به من العلم، وهذا ضرر على الدين)^(١).

والعلماء ليست لهم العصمة من الخطأ، وهم بشر كغيرهم، وإن فُضِّلوا بحمل ميراث الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ولذا إن بدر منهم اجتهاد وخطأ فيكون الاستدراك عليهم بعلم وأدب.

والمنهجية التي يجب أن نسلكها في التعامل مع زلة العالم تتمثل فيما يلي:

❖ أولاً: التثبت من صحة ما ينسب إلى العلماء:

فليس كل ما ينسب إلى العلماء صحيح، فكم أقوال وفتاوى نُسبت إلى بعض العلماء ثم تبين بعد ذلك كذبها.

❖ ثانياً: أنهم غير معصومين والخطأ من طبيعة البشر:

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» فلا أحد





معصوم إلا من عصمه الله .

❖ ثالثاً: إحسان الظن بهم:

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

وكل من تناول على أعراض العلماء يقرأ كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها من كتب التراجم له ليتبين له كيف كان هذا الإمام الكبير يعتذر للعلماء ويذب عن أعراضهم.

يقول: (ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدعناه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الفضاضة)^(١).

وقال أيضاً: (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاد - مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه وكرمه)^(٢).

❖ رابعاً: ترك كلام الأقران في بعضهم وعدم قبوله، وهي من القواعد المقررة، عند علماء الجرح والتعديل.

قال الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب: «وبكل حال فكلام الأقران في بعضهم

(١) السير (١٤/٤٠).

(٢) السير (١٤/٣٧٤).





لا يُعوّل على كثير منه، ثم ليُعلم أن وقوع ذلك بين الأقران أمر مذموم منهم، فالعاقِل من اشتغل بخاصة نفسه وسأل ربه السلامة».

وقال في ترجمة هشام بن عمار: «وبكل حال كلام بعضهم في بعض يحتمل، وطيه أولى من بثه، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم، والله أعلم».

❖ **خامساً: أن مسائل الخلاف لا يكون فيها هجر وتبديع وتفسيق كما هو الحال في زماننا.**
قال الإمام أحمد: (من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم^(١)).

وقال الإمام النووي: (إن المختلف فيه لا إنكار فيه، ولكن إن ندبه على وجه النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق)^(٢).
وقال ابن قدامة المقدسي: (لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه فإنه لا إنكار على المجتهد)^(٣).

وقال ابن رجب الحنبلي: (والمنكر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعاً فأما المختلف فيه فمن أصحابنا من قال لا يجب إنكاره على فعله مجتهداً أو مقلداً لمجتهد تقليداً سائغاً)^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض

(١) الآداب الشرعية (١/١٨٦).

(٢) المصدر السابق (١/١٧٠).

(٣) المصدر السابق (١/١٨٦).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٣٠٦).





العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه^(١).

وقال أيضاً: (إن ما فيه خلاف إن كان الحكم المخالف يخالف سنة أو إجماعاً وجب الإنكار عليه، وكذلك يجب الإنكار على العامل بهذا الحكم، وإن كانت المسألة ليس فيها سنة ولا إجماع وللاجتهد فيها مسأغ فإنه لا ينكر على المخالف لرأي المنكر ومذهبه)^(٢).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: في رسالته إلى علماء مكة: (.. ثم اعلّموا وفقكم الله إن كانت المسألة إجماعاً فلا نزاع، وإن كانت مسائل اجتهد فمعلوكمم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد)^(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين)^(٤).

وقال في موضع آخر: (أما الذين يقولون بأن المجتهد المخطئ آثم فهم أتباع بشر المريسي وكثير من المعتزلة البغداديين والقدرية؛ لأن الخطأ والإثم عندهم متلازمة)^(٥).

ويقول أيضاً: (ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور، مذموماً معيباً ممقوتاً، فهو مخطئ ضال مبتدع)^(٦).

(١) الفتاوى (٢٠٧/٢٠).

(٢) (ص ١٨٣).

(٣) الدرر السنوية (٤٣/١).

(٤) الفتاوى (٦٩/٣٥).

(٥) الفتاوى (٢٠٤/١٩).

(٦) مجموع الفتاوى (١١/١٥).





سادساً: الإنصاف والعدل: ❁

ما أحوجنا لإبراز هذا الخلق الكريم بيننا إقامة للدين وحفظاً لحرمت المسلمين، يقول الإمام الذهبي شاكياً قلة الإنصاف في زمانه « فقد صرنا في وقت لا يقدر الشخص على النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة » فالإنصاف عزيز فالبشر مجبولون على عدم الإنصاف إلا من رحم الله.

يقول داود بن يزيد: سمعت الشعبي يقول: «والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، وأخطأت مرة، لعدوا عليّ تلك الواحدة».

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) (١).

ويقول ابن القيم: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» (٢).

وينبغي التفريق بين رد القول والطعن في قائله، وهناك بعض الناس للأسف يتلمسون أخطاء العلماء حتى إذا وقع أحدهم في خطأ شهّر به وأشاع خطأه ورد جميع أقواله، وتأمل كيف كان سلفنا الصالح أعدل الناس حتى مع المخالفين والمبتدعة.

قال ابن تيمية: «أهل السنة أعدل مع المبتدعة من المبتدعة بعضهم مع بعض».

(١) المائة: ٨.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٢٢٠) طبعة الكتب العلمية.





وقال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام ابن عبد البر: «وكلُّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه، ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه».

فما أحوجنا أن نتأدب مع العلماء لأن احترامهم احترام للعلم الذين يحملونه وانتقاصهم انتقاص لعلمهم، وأن من أطلق لسانه في العلماء فإنه لن يسلم في الدنيا ولا في الآخرة، لأن لحوم العلماء مسمومة وسنة الله في منتقصيهم معلومة، ولا خير في أمة لا توقر علمائها فالعلماء هم مرجع الأمة ويأسقاطهم ينتصر المنافقون وأعداء الإسلام وبياقصائهم يعلو شأن أهل البدعة ويستطير شرهم، وإذا رأيت الرجل يغمز العلماء فلا ترج فيه خيراً واعلم أنه على شفا هلكة وسبيل بدعة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأختم هذا المقال بكلام رائع لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: ذلك العالم الرباني في كتاب (زاد الداعية)^(١): (وهناك مسائل فرعية يختلف فيها الناس وهي في الحقيقة مما وسع الله فيه على عباده - وأعني مسائل ليست من الأصول التي تبلغ إلى تكفير المخالف - فهذه مما وسع الله فيها على العباد وجعل الخطأ فيها واسعاً، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد).

فالمجتهد لا يخرج عن دائرة الأجر أبداً فإما أجران إن أصاب، وإما أجر واحد إن أخطأ، وإذا كنت لا تريد أن يخالفك غيرك فإن غيرك أيضاً يريد أن لا يخالفه أحد، فكما أنك تريد أن يأخذ الناس بقولك، فالمخالفون لك يريدون أيضاً أن

(١) زاد الداعية (ص ٢٢).





يأخذ الناس بقولهم، والمرجع عند التنازع ما بيّنه الله عزَّجَلَّ في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠) ﴿١﴾.

ويقول عزَّجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) ﴿٢﴾.

فيجب على كل المختلفين والمتنازعين أن يرجعوا إلى هذين الأصلين كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحل لأحد أن يعارض كلام الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام أحد من البشر مهما كان، فإذا تبين لك الحق فالواجب أن تضرب بقول من خالفه عرض الحائط، وأن لا تلتفت إليه مهما كانت منزلته من العلم والدين، لأن البشر يخطئ لكن كلام الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس فيه خطأ، ويؤسفني أن أسمع عن قوم يعتبرون جادّين في طلب الحق والوصول إليه ومع ذلك نجدهم متفرقين، لكل واحد منهم اسم معين أو وصف معين، وهذا في الحقيقة خطأ، إن دين الله عزَّجَلَّ واحد، وأمة الإسلام واحدة، يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٤) ﴿٣﴾.

ويقول الله سبحانه لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) ﴿٤﴾.

(١) الشورى: ١٠.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) المؤمنون: ٥٢.

(٤) الأنعام: ١٥٩.





وقال عزَّجَلَّ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) (١).

فإذا كان هذا توجيه الله عزَّجَلَّ لنا فالواجب علينا أن نأخذ بهذا التوجيه، وأن نجتمع على بساط البحث، وأن يناقش بعضنا بعضاً على سبيل الإصلاح لا على سبيل الانتقاد أو الانتقام، فإن أي إنسان يجادل غيره ويحتاج بقصد الانتصار لرأيه واحتقار رأي غيره، أو لقصد الانتقاد دون الإصلاح فإن الغالب أن يخرجوا على وجه لا يرضي الله ورسوله، فالواجب علينا في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة وأنا لا أقول إنه لا يخطئ أحد، كل يخطئ ويصيب، ولكن الكلام في الطريق إلى إصلاح هذا الخطأ، ليس الطريق إلى إصلاح الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقبح فيه، ولكن الطريق إلى إصلاحه، أن أجتمع به وأناقشه فإذا تبين بعد ذلك أن الرجل مصرّ على عناده، وعلى ما هو عليه من باطل فحيثئذ لي العذر ولي الحق بل يجب عليّ أن أبين خطأه، وأن أحذر الناس من خطئه، وبهذا تصلح الأمور، أما التفرق والتحزب فإن هذا لا تقر به عين أحد، إلا من كان عدواً للإسلام والمسلمين).

انتهى كلامه:

✽ **وختاماً:**

ليكن المسلم عامل طمأنينة ونشر أمان في مجتمعه، لا تكون ممن ينشر الإرجاف والتخويف بين الناس، فالأمن نعمة عظيمة والله خص به أهل التوحيد

(١) الشورى: ١٣.





.. قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ

﴾ (١) ﴿٨٢﴾

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً





المقالة الرابعة

استمتع برياضة المشي السريع^(١)

تشجع العديد من الدراسات الأمريكية على رياضة المشي لما لها من فوائد، كما أن الأطباء يرون فيها درءاً لمخاطر صحية عدة منها تقليص الإصابة بسرطان الثدي والمساعدة على نوم هنيء وفق ما أثبتته أحدث الدراسات.

وشددت الطبيبة ميشال لوك الاستشارية في جمعية سرطان الثدي المشرفة على برنامج ثلاثة أيام من المشي، والمتخصصة في طب الرياضة في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، على أن ممارسة رياضة المشي ضرورية للجميع أكانوا رياضيين أم غير رياضيين، لافتة إلى أن «المنافع الصحية منها مهمة بشكل خاص للنساء».

تبين البحوث أن المشي يومياً ساعة (٦٠ دقيقة) في اليوم سوف يحسن من صحتك إلى حد كبير.. ويمكنك من بناء القدرة على التحمل، وحرق السعرات الحرارية الزائدة ويعطيك قلب أكثر صحة.

❖ ما هو الشيء العظيم جداً في المشي؟

يمكن أن يتم المشي في أي مكان تقريباً، في أي وقت، وفي أي طقس.. كما أنها وسيلة رائعة للحصول على أوليات الصحة، وتنشيط الدورة الدموية، ما يعني أنك يمكن أن تجعل المشي في روتينك اليومي ووردك الصباحي.

(١) منصور بن محمد الشريدة، بتاريخ ١١ / ٧ / ١٤٣٨ هـ (صيد الفوائد).





❁ كيف يمكنني حساب الوقت وأنا ذاهب للمسجد مشياً مثلاً؟

الشخص العادي يمشي بين عشر دقائق و ١٥ دقيقة يومياً، وهي على خطى متقاربة غير سريعة .. لمعرفة عدد الدقائق التي تتخذ في كل يوم لا بأس بحساب جميع الوقت في أنحاء المنزل، عبر المكاتب، إلى المسجد وأثناء التسوق، إلى المدرسة أو الحديقة .. قد تجد أنك تمشي تقريباً ساعة كاملة يومياً، أو أن تمشي أقل مما كنت تعتقد .. وأياً كانت نتائجك ستكون مصدر تحفيز لك.

❁ كم عدد السرعات الحرارية وأنا أحرق إذا أمشي ساعة كاملة يومياً؟

إن الشخص الذي يكون عمره ٤٥ ويزن ٧٠ كغ يمكن أن يحرق حوالي ٣٠٠٠ كيلو جول عن طريق المشي ساعة كاملة بخفة وفقاً لمؤسسة القلب البريطانية في ممارسة آلة حاسبة السرعات الحرارية.

وإذا كنت تحاول فقدان الوزن، يجب أن تهدف إلى حرق ٦٠٠ سعرات حرارية أكثر مما كنت تأخذ في خلال الطعام والشراب كل يوم .. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك من خلال مزيج من النظام الغذائي وممارسة الرياضة.

❁ ماذا لو كنت لم تمارس أية نشاط؟

إذا كنت غير نشط للغاية، فإن زيادة مسافات المشي يجب أن تتم بشكل تدريجي ولا أحد يتوقع ساعة كاملة من الدقائق في اليوم الأول! إذا كنت قلقاً حول المفاصل أو أي شروط صحية قائمة، فيجب التحدث مع الطبيب. وإذا كانت مفاصلك هي المشكلة، فإن من شأن الماء أن يساعدك على دعم مفاصلك أثناء التحرك ويقوم بتخفيف الضغط على المفاصل.





هل أنا بحاجة إلى أي ملابس خاصة؟

نحن نوصي بزوج من الأحذية الرياضية الخفيفة والمريحة، والتي توجد لدى أغلب الناس مع ملابس قطنية فضفاضة.

ما هي أفضل طريقة للبدء؟

باستخدام عداد الدقائق الخاص بك، ومعرفة عدد الخطوات التي تقوم بها خلال الأيام العادية.

يمكن أن يكون ٣٠ دقيقة خطوة على الأقل إلى ٥٠ دقيقة على الأكثر وذلك اعتماداً على ما تفعله يومياً.. ثم قم بتسجيل الدقائق اليومية لأكثر من أسبوع واستخدام إجمالي عدد الأسبوعي بمعدل يومي.

استخدام هذا المعدل اليومي لبناء دقائقك تدريجياً، وذلك بإضافة المزيد من الخطوات القليلة بين الحين والآخر حتى تستطيع المشي بانتظام ساعة كاملة يومياً.

إن القيام بمشي ٣٠ دقيقة باليوم هو عمل صعب في يوم مزدحم فكيف

استطيع تنسيق ذلك؟

زيادة دقائق المشي هو أسهل مما كنت تعتقد.. جرب هذه النصائح للحصول على المزيد من الخطوات في حياتك:

* النزول من السيارة بعيداً عن الدوام في وقت مبكر والسير في بقية الطريق إلى المنزل أو العمل.

* السير إلى الماركت بدلا من ركوب السيارة.





- * القيام بالتسوق محلياً إذا استطعت.
- * اصطحاب الأطفال إلى المدرسة سيراً على الأقدام ومهما كان الطقس.
- * القيام بالنزهات في الحدائق واصطحاب الأطفال مشاركتهم المشي الجماعي.

✿ أجد المشي مملاً .. فكيف يمكنني جعله أكثر متعة؟

- * يمكن ذلك بالعثور على شريك المشي بحيث يكون لديك شخص ما للتحدث إليه أثناء المشي كزوجتك أو زميلك.
- * الحصول على جهاز الجوال والاستماع إلى المقاطع المفضلة لديك.
- * خطط لعطلة نهاية الأسبوع.
- * الانضمام إلى مجموعة المشي أو المشي ضمن مجموعات.

✿ كم من الوقت يمكنني الحفاظ على رياضة المشي؟

بقية حياتك! البقاء نشيطاً هو عادة صحية مدى الحياة .. إنه لشيء رائع للوقاية من زيادة الوزن، ورفع المزاج، وتقليل خطر الإصابة بمجموعة من الأمراض الخطيرة، مثل أمراض القلب .. يستغرق بعض الوقت من النشاط المنتظم ليصبح عادة صحية، لذلك يجب أن تستمر، وسوف تصبح طبيعة ثانية .. لتجد نفسك تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك في عدة أيام.

✿ ماذا لو لم أستطيع المشي لبضعة أيام بسبب المرض أو العطلة؟

المشي هو شكل لطيف من التمارين الرياضية التي من السهل أن نعود إليها بعد الانقطاع .. فقط ابدأ من جديد عندما تستطيع.





❁ كمية التدريبات التي يوصى بها تعتمد على عمرك.

يجب على البالغين بين ١٩ و ٦٤ الحصول على ١٥٠ دقيقة على الأقل من النشاط البدني معتدل الكثافة الهوائية - مثل المشي السريع أو ركوب الدراجات - في الأسبوع .. وقد تبدأ في التفكير في الحصول على ممارسات أكثر نشاطاً ولكن يجب أن تبدأ الآن.

وقتاً ممتعاً معكم ...





المقالة الخامسة

طور فكرك وتدبر أمرك^(١)

كتب مؤسس شركة (سوني) اليابانية والتي يُضرب بها المثل في النجاح، كتب يقول: كنت أفكر في صنع جهاز تسجيل ينطق فقط ولا يسجل .. أي لا يمكن تسجيل أي شيء فيه، وإنما يمكن فقط الاستماع إلى الأشرطة المسجلة مسبقاً. فجمعت عدداً من المصممين وقلت لهم: (أريد جهاز تسجيل لا يسجل).. فضحكوا من كلامي، وقالوا: (إن فلسفة جهاز التسجيل قائمة على التسجيل والحفظ، وليس على القراءة وحدها).. ثم بعد شهر جاءني الخبراء بأربعمئة مخطط مختلف، فاخترت منها أربعة، وتم تصنيعها.

وفي العام الأول لم يجن أي جهاز منها أرباحاً، لكنني ربحت في العام الثاني ثمانية ملايين دولار في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها .. لقد كان هذا الجهاز نتاج لحظة من التفكير .. هذا يعني أن شيئاً يبدو في الظاهر أنه فاشل قد يكون ناجحاً، إذا أضفنا بعض التفكير إليه، وحتى في الأشياء التي نؤمن بنجاحها تماماً، فإن التفكير قادر على أن يوصلنا إلى ما هو أفضل منها. إن إلغاء التفكير يعني إلغاء التطور.

إن الصناعات الناجحة تدخل في سوق المنافسة، وأصحابها يعلمون أن التطور أمر يومي وأن هنالك في كل يوم بضاعة جديدة، وتحسينات جديدة على البضاعات القديمة .. وهكذا فإنه لا بد من تطوير كل فكرة، وتحسين كل بضاعة،

(١) خالد بن سعد النجار / جمادى الآخرة / ١٤٣٦هـ (صيد الفوائد).





ولن يحدث ذلك إلا من خلال التفكير المتجدد .. بل أستطيع القول إن علينا أن نجدد التفكير في تفكيرنا، وأن نطور أسلوبنا في كل مجالات الحياة بما فيها مجالات التفكير ذاتها.

ولو قارنًا أنفسنا بالمفكرين والمبدعين والمتأملين في خلق الله تعالى؛ لما وجدنا فروقًا بيننا وبينهم في الخلق، بل الكل خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) (١)

فالفارق بين من لا يحسن استخدام فكره واستغلال وقته، وبين أولئك المبدعون والمفكرون أنهم أحسنوا الاستفادة من وسائل تلقي المعرفة الثلاثة «السمعُ والأبصارُ والأفئدة»، واستخدموها للتفكير والتدبر في ملكوت الكون، وفيما ينفع الأمة من اختراعات وابتكارات.

يقول هنري فورد: سواء كنت تفكر بأنك تستطيع، أو تفكر بأنك لا تستطيع، فأنت على صواب، فالرسالة واضحة وهي: نعم، أنت تستطيع إذا صممت على أنك تستطيع .. إن كل الإنجازات العظيمة تبدأ أول ما تبدأ في تفكير الإنسان، ويبقى المرء غير قادر على إنجاز أي شيء منها طالما هو متصور أنه ليس بإمكانه القيام بها، ولاستعادة ثقته بذاته عليه التخلص من الرعب والقلق والتشكك في النفس وإمكانياتها .. إن خوف الإخفاق هو أكبر مشكلة في تحقيق النجاح، ومن المؤسف أن الناس لا يدركون أهمية الإخفاق في التمهيد للنجاح، فكل نجاح عظيم يكون الإخفاق قبله أعظم، وهذا ما نلاحظه في كل سير العظماء.

(١) [النحل: ٧٨]





قام باحث أمريكي اسمه (نابليون هل) بمقابلة أكثر من ٥٠٠ شخص حققوا أعلى درجات النجاح، وفوجئ أنهم واجهوا إخفاقات جبارة، ولكنهم قرروا أن يمشوا خطوة أخرى بعد كل إخفاق ليحققوا ما يريدون، وأعظم مخترع في العصر الحديث (طوماس أديسون) أخفق ١٠٠٠٠ مرة في تجاربه على المصباح الكهربائي قبل أن ينجح في اختراعه. فبعد أن أخفق ٥٠٠٠ مرة كتبت الصحف أنه مجنون وأنه يضيع حياته حيث يريد تغيير نظام الإضاءة الذي استعملته البشرية منذ أقدم العصور، فرد عليهم قائلاً: (إني لم أخفق، بل إني أعرف الآن ٥٠٠٠ طريقة غير ناجحة لعمل المصباح الكهربائي).

وإذا أخفقت في السيطرة على فكرك تأكد من أنك لن تسيطر على أي شيء آخر، وإذا كنت مهملاً في ما يخص ممتلكاتك ليقصر ذلك الإهمال على المادية منها فقط لأن عقلك هو مملكتك الروحية، وعليك حمايته واستعماله بعناية، وأنت تملك حقاً مقدساً بذلك، وأعطيت قوة الإرادة لهذا الغرض.

الطريق من هنا: ❁

* أكثر الوسائل التطبيقية للسيطرة على العقل ذاتياً هي إشغاله بهدف محدد، وأن يكون مشدوداً بخطة واضحة، ويمكنك دراسة سيرة أي رجل حقق نجاحاً باهراً لترى أنه كان مسيطراً على عقله، وأنه مارس تلك السيطرة ووجهها نحو تحقيق أهداف محددة، ومن دون تلك السيطرة لن يكون النجاح ممكناً.

* يعتبر الإدراك الواعي لمصادر الخطأ في التفكير هو المصدر الرئيسي الذي نستطيع أن نعتمد عليه لتحسين تفكيرنا .. وكلما ازداد تفكيرنا





وضوحاً، كلما أصبحنا أفضل في اتخاذ القرارات، وحل المشكلات،
وأيضاً في وضع الأمور في منظورها السليم.

* فكر في الحصول على المزيد من النتائج الجيدة، أكثر مما تفكر في عمل
الأشياء بالطريقة التي ترغب.

* لا تقلق بشأن تعديل أفكارك أثناء تقدمك، فمن الممكن أن تتحول القناعات
والنظريات والافتراضات تدريجياً بمرور الوقت، أو تتغير فجأة.

* تجاوز مشاعر الندم وخيبة الأمل والشعور بالذنب والاستياء والرفض أو
اللوم .. يفتح الباب أمام تجارب إيجابية جديدة تتدفق في حياة الإنسان.

* الاستسلام للمألوف يخمد نار الفكر.

* الانهزامية أمام سخرية الناس دليل على ضعف الإرادة لدى المرء، والذين
يعرفون أهدافهم ويدركون تماماً أنها صحيحة وواقعية ينبغي أن يلاحظوا
النتائج تماماً كما كان يفعل الأنبياء والمصلحون .. كانوا على يقين راسخ
بأهدافهم، وواجهوا استهزاء الناس وسخريتهم بالمزيد من العمل والمزيد
من النشاط، وهذا ما يجب أن يفعله الذين يرغبون في النجاح.





المقالة السادسة

مصادر التشكيك في الأحاديث..! (١)

من بلايا السياق التخلفي، والمرحلة التراجعية في حياة الأمة، أن يلحق بالدين النقيصة، وأن يُنسب للشرع المجيد، كل تراجع وهوان..!
وكما تحررت أوروبا من سيطرة الدين عليها، وتبينت الحق، كذلك يجب على أمتنا قفو ذلك، كما تقول جمهرة العقلانيين والتنويريين الصحافيين والمهرجين والفنيين، هذه الأيام وقبلها..!!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٢)

وبات جهال أمتنا (أوصياء) على إسلامنا، ومنظرين لخطوط نهضتنا ومقوماتها..!
ومن ذلك حملتهم على السنة وبعض القضايا الحديثة، وضرورة إخضاعها للعقل و(المكتشفات) الحديثة!

وتجاهلوا ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٣).

وقوله ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤).

وصح قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» أي السنة.

ومدرسة التشكيك، امتداد لمدرسة عقلانية قديمة، ابتدأت بطوائف (المعتزلة)

(١) د. حمزة بن فابع الفتحي (صيد الفوائد).

(٢) سورة الكهف الآية ٥.

(٣) سورة النساء الآية ٨٠.

(٤) سورة الحشر الآية ٧.





وانتهت أو تطورت برفاعة طهطاوي والأفغاني ومحمد عبده في العصر الحديث ولا يزال تتوالد من حين لآخر!! كالداعية الغزالي والترابي وعدنان إبراهيم وأشباههم. وليس أهل السنة ضد العقل، أو أنهم (متحجرون) كلا، بل إنهم عقلائيون بحدود، فهم لا يطلقون له العنان، ولا يجعلونه يستقل بنفسه عن نور النص، وسطوع النقل لعلمهم (بانعدام) التعارض بينهما، وآيات العقل والتفكير والتأمل مشهورة في القرآن بجلاء عجيب!

لكن المجازفين هنا، تمادوا به وقدسوه، إلى درجة محاكمة النصوص النقلية، والتعويل على العقل بلا ضوابط دقيقة، فوقعوا في الحرج، من حيث رد النصوص أو الاضطراب المنهجي المسيء!

ولذلك إذا تأملت مصادرهم وصنوفهم، وجدتهم كالاتي:

عقلانيون مبالغون: ❁

يقدمون العقل تقديسًا مطلقًا، يجعلهم يرفعونه فوق حده، متجاوزين به النقل والنص، فإن عارضه شيء، احتكموا إليه وليس إلى النقل، وتلك جناية كبرى، أنى لها أن تكون؟!!

لأنه بالبساطة، ربنا خالق العقل، والموحي بالنقل، فكيف يتعارضان؟! إنما التعارض في عقول البشر، وسوء الحكم والتفقه!!.

لأنه لا يمكن لنص صحيح، أن يتعارض مع عقل صريح، وعلى هذه المسألة، بنى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَلْف كتابه الذائع (درء تعارض العقل والنقل)، وفيه قال تلميذه شمس الدين ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الكافية الشافية:





واقراً كتابَ العقل والنقل الذي ما في الوجود له شبيه ثاني

وممن تورط في هذا المسلك بعض أئمة الكلام، كالفخر الرازي والغزالي والجويني قبل أن يتوب بعضهم، فمثلاً الرازي كان يقدم العقل على النقل، ووضع شروطاً تعجيزية في قبول الأدلة النقلية، وهو من اشتهر قوله:

نهايةُ إقدام العقول عقالٌ وأكثر سعي العالمين ضلالٌ
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى ووبالٌ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وفيه قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ لما احتفى بالعقل حفاوة تجاوز بها منهج الاعتدال (له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء)^(١).

تجديديون منحرفون: ❁

يزعمون تجديد علوم الشريعة والارتقاء بها، فضلوا السبيل، ووقعوا في المحاذير، من ليّ النصوص أو ردها، أو مصادمة ظواهرها القاطعة، أو التوسع في المصالح والاستحسانات نحو: جمال البناء، وتخريفاته التجديدية المشهورة!

من نحو: تجويزه نكاح المسلمة للمسيحي، تجسيده لمبدأ المواطنة، وإباحته القبلات بين الجنسين، وزعمه أن الحجاب خاص بمنطقة الجيب والصدر فحسب، في تخريفات متنوعة!!

(١) (لسان الميزان ٤/٤٢٦)





صحفيون مخلطون: ❁

بدراية وبغير دراية، يحاكمون الأفكار، ويجعلون من أنفسهم سلطة تحكم وتقرر تبيح وتمنع، وأكثر أطروحاتهم قص ولصق، لا تنتمي إلى ميادين الأفكار، والتأصيل العلمي المتين! وإنما تخليط، وشيء من التهويل والتخويف والتخريف والتدجيل، حتى تصيب أهدافهم، من نحو محاكمة النصوص، ونقد الأحاديث، وليس فيهم مشتغل بالعلم، فضلاً عن أن يكون من منسوبي السنة والآثار! بل هو الانتفاخ الصحفي!

وإنه لمن عجائب الحياة، أن تصبح السنن كالكلأ المباح، والمتاع المشاع، لكل ناطق وناقص، ولذلك لا يؤمن هؤلاء إلا بما يمليه سادتهم من فلاسفة الغرب وعلمائه، فإن صادقوا على صحة الأحاديث بالمعامل التجريبية، صدقوا وأذعنوا، وإلا عاندوا واستهزءوا، ومن اعتراضاتهم: أحاديث الذباب، وشرب ألبان الإبل وأبوالها، وبرغم مصادقة بعض المعامل عليها، إلا أن بعضهم لا يزال في ريبة.

إسلاميون منهزمون: ❁

خدرتهم المنجزات الغربية، وأحسوا بالهزيمة الفكرية والذاتية، فأرادوا مواصلة الدعوة متكيفين، بتجديد منهزم، وسلوك فاتر، وحرّاك سقيم، يتنافى وعزة الإسلام، وأنف العقيدة والكرامة، من نحو من يسمونه رائد التنوير، رفاة الطهطاوي وأتباعه، الذين انماعوا في التسويغ والترويج للفكر الغربي، بطريق انهزامية ومسفة.





✿ كتاب متحاملون :

ذوو انحراف خطير، أو تلقى مشوش، أو فكر هابط، أو قراءات مسبقة، اعتمدت على الفكر الشيوعي أو العلماني أو القومي، أو أخذان لروايات ساقطة وقصص ماجنة، صنعت منهم أصدادا لدينهم ولأمتهم، فيأتون ليجعلوا من أفلامهم حكماً على الأحاديث، وأن لهم القدرة في النقد والتحليل، وينضاف إلى ذلك معاداتهم لبعض الإسلاميين، الذي يجعلهم ينظرون بعين العمى أو الغشاوة أمام ما يطرح. ومقدماتهم فنية أو سياسية أو تربوية، أو تهريجية، ولا علاقة لهم بالعلم الشرعي ومسائله، وتحقيقه.

✿ متحدثون مأجورون :

من خلال قنواتهم وبرامجهم، التي أخذت على عاتقها إقصاء الإسلام والفضائل ونشر السفه والردائل، وبث السموم والشبهات المزعزعة للإيمان والعقائد من نحو معارضة بعض الأحاديث للعقل البشري، وعدم ذكر ذلك في القرآن، أو الترويج أن الإيمان بالقران كاف.

متجاهلين جل أحكام الشريعة التفصيلية كانت في السنن، وليس في القرآن كصفة الصلاة والزكاة والحج والصيام والمعاملات ودقائق الحدود وشبهها. ومن المؤسف كل هذه الأصناف تحتضنهم قنوات فضائية معروفة، تغذيهم وتشترتهم، ليمارسوا عملية الهدم والتضليل والتليس، بسم الإسلام والعدالة، وفقه الشريعة، والحقيقة أنه لا عدل ولا فقه ولا شريعة، فهم يختارون ما يريدون، ويثبتون ما يريدون، إلى أن يبتكروا إسلاماً جديداً، يتناغم والهوى الغربي.





وهذه الأصناف قد حذر وتنبأ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم في قوله «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»^(١).

وقوله «ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» ..
والله الموفق

إضاءة:

مَنْ رَامَ جَنَّةَ مَنْ غَيْرِ نَهْلِهِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ



(١) رواه الترمذي وغيره





المقالة السابعة

لغتنا والإعلام^(١)

لن نقول شيئاً جديداً بخصوص الإعلام، كما أننا لن نأتي بمبتدع في اللغة، لكننا سنقرن بينهما لنقول: إن الإعلام اليوم هو الوسيلة الأولى والأهم حتى تسترجع العربية مقامها ومكانتها بين اللغات عامةً، وبين أهلها وذويها خاصةً، لقد صار الإعلام مدرسةً وجامعةً، وموجهًا ومرشدًا، وأستاذًا وعالمًا؛ لذا فالإعلام يمثل المجتمع كله، لكن كيف يعيد الإعلام للغة مكانتها؟

لقد عرف زعماء النهضة في العصر الحديث ما للإعلام من سطوة على عقول الناس عالمين ومتعلمين؛ لذا سارعوا إلى إنشاء المجلات وإصدار الصحف والجرائد، يحدوهم أمل نشر المعرفة بين المسلمين، وردم الهوة بين لغة العلم ولسان التخاطب اليومي؛ فالجريدة أو المجلة ليست جامعةً تضع قيوداً لمن يروم حضورَ دروسها ودخولَ مدرجاتها، وهذا ما يجعلها في متناول العالم الخبير، والطالب المستنير، والتلميذ الصغير، وهو ما ينتج عنه اتساع دائرتها، وتنوع متابعيها، حتى ليكون الأستاذ والعامل في التأثر بها على حدٍ سواء.

وإذا تقرّر ما سبق، نستطيع القول: إن الإعلام - ونخصّ منه في مقالتنا هذه المجلات والجرائد - له بالغ الأثر في إرجاع العربية إلى حياة الناس، وتعريفهم محاسنها، وحملهم على تعلّمها من معينها الصافي - وهو القرآن، والبيان النبويّ وأشعار العرب وخطبها - وغرس مشاعر الفخر والاعتزاز بها.

(١) إبراهيم بلفقيه اليوسفي، بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٤٣٩ هـ (شبكة الألوكة).





وقد رهن آل اليازجي والبستاني في لبنان، والألوسيون في العراق، وعبدالله كنون وتقي الدين الهاللي وابن باديس والبشير الإبراهيمي في الغرب الإسلامي، وشوقي وحافظ ورشيد رضا والرافعي ومحمود شاكر في مصر - هؤلاء كلُّهم وغيرهم نذروا أنفسهم للذود عن حياض العربية، وكان سيئهم في هذا مختلفاً باختلاف طبائعهم، إلا أنهم يتفقون في شيء واحد، هو المجالات والجرائد؛ لأنها أقرب من غيرها من وسائل المعرفة إلى سواد الناس الأعظم.

وهذه الوسائل الإعلامية نوعان: ❁

* محافظةٌ على عربيَّتها، معترَّةٌ بهويتها.

* منكرةٌ لأصولها، جاحدةٌ لأفضالها.

ورغم ما تعرَّضت له هذه اللغة الشريفة من هجماتٍ، سواء من أعدائها الأعاجم أو ممن تنكَّر لها من أبنائها العاقين وولاها ظهره، ظلَّت ثابتةً الجذور، وارفةً الأغصان، باسقةً الأفنان.

ولن يذكُر التاريخ - من الطائفتين اللتين ذكرنا قبل - غير من تعلَّقت من المجد بأسبابه، وبصمت تاريخ العربية بميسم الفخر والوفاء، أمَّا التي اتخذت لهجةً ما - على اختلافها في الوطن العربي - ديدنها، وجعلتها قنطرةً لها إلى القراء، فستموت مع آخر أعدادها.

إنَّ الإعلام اليوم هو السُّلطة الرابعة التي تؤثر في غيرها من السلطات، ولئن كان الشاعر قديماً لسان قبيلته وحامي ذمارها، فإنَّ المجلة والجريدة اليوم هي لسان وطنها، ومرآة ثقافته، وموجهة شعبها؛ إمَّا إلى ما يصطف به بين الأمم العظيمة، أو يجعله في الدرك الأسفل من الجهالة والتخلف؛ لذا كانت مهمة





الصحافي والإعلامي أخطر مما يُظنُّ، وأبلغ مما يتصوَّر؛ إذ كلما حَمَلَ القلم اشترأبت إليه الأعناق، وتطلَّعت إليه الأعين، تنتظر ما سيلفظ، وتتلقَّف ما يقول، وهنا تُغرَس القيم، وتَحْضُر المبادئ، وتسمو العقول، ويتسع أفق الفكر.

وليست هناك لهجةٌ عاميةٌ تستطيع حَمَلَ هذا الزاد المعرفي؛ لقصور اللهجات الدارجة، وارتباطها بالحياة اليومية - في أضعف صورها - كما أنَّ هذه اللهجات إنما نشأت بين غير المتعلِّمين، وفي بيوت الأعاجم ممن أسلموا أو نأووا عن مواطن الحضارة ومراكزها؛ مثل بغداد ودمشق والقاهرة وفاس وقرطبة قديمًا.

كما أنَّ الإعلام يُعدُّ صورةً صادقةً عن مستوى شعبٍ ما، وعن مدى رقيه وتحضُّره إذ إنَّ الإعلام إنما يتناول هموم الشعوب التي يتأثَّر بها كما يؤثِّر فيها، فإنَّ كان همُّه هو الانسياق وراء بعض الأمور التي لا ينفع علمُها ولا يضر جهلُها، فهو إعلامٌ فاشل، وليس سوى صورةٍ كبيرةٍ لأحداث العجائز والأطفال داخل البيوت، أمَّا إنَّ حَمَلَ رايةَ الثقافة، وبَدَل وَسَعَه لتنوير الأمَّة، وبثَّ رُوح القيادة في أبنائها، فعندئذٍ يمكن نعتُه بالإعلام الرساليِّ الحضاريِّ؛ فالرساليُّ هو الذي يبعث رسائل التقدُّم والتطوُّر، والحضاريُّ هو ما يصبو إلى إبراز حضارته في أسمى تجلياتها.

قد يقول بعض الناس: إنَّ العربية ليست لغةَ العلم، وقد أكل الدهر عليها وشرب! وجوابنا على هذا أمرٌ يسير، نقول: إنَّ العربية ما أكل الدهر عليها ولا شرب، وإنما تخلَّف عنها أهلها، وعقَّها أبنائها، لَمَّا أخلدوا إلى الراحة والدَّعة، وتبعوا المظاهر المادية للحضارة الإنسانية المعاصرة، وتركوا علومها - أي: حضارة اليوم - وما جاءت به من بديع الاختراعات والمعارف، وتشبَّثوا منها





بسفساف الأمور، ولا أدلّ على قوة العربية من استيلائها على العلم أكثر من سبعة قرون، وأقطع من هذه الحجّة انشغال الباحثين اللسانيين في الغرب بدراسة العربية، ومحاولة استكناه السرّ الذي جعلها خالدةً من بين اللغات السامية كلّها في حين انقرّضت أخواتها.

كما أنّ العربية بخصائصها الصرفيّة والاشتقاقية تستطيع احتضان كلّ ما يجدُّ في هذا العالم من معارف، ويكفيها فخراً وقوة أنّها لغة الكتاب العزيز، ومن خصائص هذا الكتاب الربانيّة والصلاحية لكلّ زمان ومكان، ومحالّ أن يربط ربُّنا كتابه بلغةٍ ضعيفة تتكسر أمام أيّ عاصفة.

ومما أسلفنا نتبيّن أهمية الإعلام في حياة الناس اليوم، وما له من بالغ الأثر على الشعوب؛ سُوقِهَا وخاصَّتِهَا، وبما أنّ وسيلة التواصل بين هذا الإعلام وبين متابعيه هي اللغة، كان لزاماً علينا التنبيه إلى ما لهذا الإعلام من قوة في ردّ العربية إلى عرشها، وبعث مشاعر حبّها وفخر الانتماء لها.

ونأمل من إعلامنا التزام العربية في نشراته ومقالاته؛ حتى يرتفع بالقارئ إليه، لا أن ينزل هو إلى القارئ، كما نرجو أن تلقى دعوتنا هذه آذاناً مصغيّة، وعقولا راشدة، وقلوباً واعية؛ حتى نحفظ ما خلفه أسلافنا، ونستكمل ما بدأه أجدادنا.





المقالة الثامنة

دور المجتمع والإعلام^(١)

يعتبر المجتمع وسيلة لقيام الثقافة ووجودها واستمرارها، كذلك فإنه يمد الإنسان بالحماية والراحة والغذاء والتربية، ويتدخل المجتمع في مضمون أفكار الفرد المنتمي إليه في أحلامه وآماله، بل وفي كثير من أمراض عقله وجسمه^(٢).

والدين الإسلامي دين جماعة أولاً، وما الأسرة إلا خلية من خلايا المجتمع، والمجتمع جسد والأسرة عضو من أعضائه، وكلما تعافت الأسرة كان الجسد أقوى وخلى من الأمراض لذلك قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى)^(٣).

لم تستخدم كلمة المجتمع في القرآن الكريم بل استخدم بدلا عنها كلمات الأمة والقرية للدلالة على ما نقصده حالياً بكلمة المجتمع وذلك كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) كيندة حامد التركاوي، بتاريخ ١ / ٤ / ١٤٣٨هـ (شبكة الألوكة).

(٢) رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ٢٨٤.

(٣) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة (٤٦)، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٧)، ٨، حديث (٦٧٥١) ٢٠.

(٤) [البقرة: ١٤١]





وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَّا يَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾ (١).

والمقصود من المجتمع تلك الجماعة أو (الجماعات) من الناس الذين يعيشون في أرض واحدة، وتوحد بينهم الأنظمة والقوانين والتقاليد والآداب والعادات، ويعيشون حياة اجتماعية واحدة.

إن المجتمع الإسلامي هو في حقيقته وواقعه مجتمع الخلافة الربانية، بل إن المجتمع الإسلامي هو الإطار الاجتماعي الذي يغمر طاقات الإنسان وإبداعاته ويفتح له أوسع أبواب المساهمة في إعمار الأرض حسب التوجيه القرآني ولعب دوره الإيجابي المرسوم في حركة التاريخ البشري والمسيرة الإنسانية الهادفة نحو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

المجتمع الإسلامي هو التجسيد الحي للأطروحة الإسلامية للحياة الإنسانية، وهو الترجمة الأمية للمذهب الإسلامي أمراً إلهياً واجباً على جميع المؤمنين (٢).

❖ الندوات التثقيفية التعريفية:

الندوات: هي عبارة عن مناقشة متكاملة بين مجموعة من المتخصصين في موضوع معين (٢-٥) وجمهور معين في جوانب مختلفة من هذا الموضوع

(١) [البقرة: ٢١٣]

(٢) عبد الجبار، محمد، المجتمع (بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني)، بيروت، دار الأضواء، ط٢،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ٣٢.





ويتناول المختصون الموضوع من جوانبه المتعددة كل منهم يتناوله من زاوية أو من جانب معين .. ولذلك تُعد الندوة من وسائل الاتصال التي تتيح التفاعل بين المرسل (وهم المختصون) وبين المستقبل (الجمهور) حول موضوع معين^(١).
وقياسًا على ذلك، فإن من واجب الدولة في الاقتصاد الإسلامي أن تضع وتطبق مقاييس وأنماط للإعلان التجاري بحيث تحول دون تحوله إلى قوة رهيبة في يد المنتجين لتصريف مبيعاتهم عن طريق إيهاام المستهلكين، وإغرائهم بمزايا وهمية للسلعة، والعبث بمشاعره وغرائزه، واستثارتها بصورة مدمرة لصحته المادية والعقلية والنفسية.

كما يوجب الفكر الاقتصادي الإسلامي على الدولة التدخل بصورة، مباشرة أو غير مباشرة لكسر أساليب الاحتكار المشهورة كإقفال الأسواق والتحكم في الإنتاج من خلال سد منافذ التموين بالمواد الخام، أو منافذ التسويق وإغراق الأسواق لتدمير المؤسسات المنافسة وغيرها ويتمثل دور الدولة في فسح المجال أمام دخول مؤسسات جديدة لترشيد العملية الإنتاجية، وتحسين السلع، وتخفيض السعر، وإذا كان الاقتصاد الإسلامي يقف إلى جانب المستهلك ويحميه من الممارسات الضارة التي قد تقع عليه من الآخرين فإنه في نفس الوقت يوجه عناية كبرى للمستهلك ذاته من خلال ترشيد استهلاكه ليحميه من الأضرار التي قد يلحقها هو بنفسه.

فمن واجب الدولة السهر على التربية الاقتصادية، للفرد حيث تعلمه القيم

(١) مهدي، محمد محمود، المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ت، ١٨٠.





والأخلاق المنظمة للسلوك الاستهلاكي للمسلم وتوفر له البيئة النظيفة الخالية من السلع غير النافعة التي تضره في صحته ونفسه وماله، وترهبه بالمراقبة والعقاب، وتذكره بالجزاء والحساب.

فالدولة تساعد الفرد على تنقية رغباته، وترقية حاجاته، وضبط إنفاقه وترشيد سلوكه الاستهلاكي عندئذ يتوسط إنفاقه بين التقدير ويعتاد الادخار ولو بمقدار قليل من المال ويكون إنفاقه على الطيبات في اعتدال، وتحريم ألوان الاستهلاك الضار، بدوافع العقيدة والإيمان، وسلطة الدولة، ورقابة المجتمع^(١).

تزخر الأمة المتقدمة بالكثير من المجامع العلمية والمنتديات الفكرية التي يلتقي فيها العلماء والمثقفون والمفكرون لمعرفة الجديد والمفيد عبر المحاضرات والندوات واللقاءات في شتى مجالات المعرفة والواقع، وحضور مثل تلك المحاضرات والندوات يعتبر رافدا مهما من روافد ملء الفراغ بما يفيد في التربية الذاتية وتكون المحاضرة غالباً تلخيصاً لكم هائل من المعلومات وربما لتجارب سنوات عديدة تلقى على المستمعين في فترة محدودة وتوفر عليهم وقتاً وجهداً كبيرين في تحصيل واستيعاب تلك المعلومات، كما أن في حضور الندوات فرصة للاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم وفرصة لمعرفة وجهات النظر المتباينة أو المتفقة وتعويد النفس على تمحيص الآراء لانتقاء الصالح منها والمناسب ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) لعمارة، جمال، موقف الفكر الاقتصادي الإسلامي من انعكاسات ظاهرة العولمة على دور الدولة في الاقتصاد، القاهرة، المؤتمر العلمي السابع للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، علم الاقتصاد والتنمية العربية، ٢٨ / ٢٩ أيار، ١٤هـ / ٢٠٠٥م، ١٢.





هَدَتْهُمْ اللَّهُ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَبِ ﴿١٨﴾ (١).

ويقع على كاهل هذه الندوات، عبء كبير إن قامت به على الوجه الأكمل ساهمت بحل الكثير من المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها المجتمعات قاطبة، والمجتمع العربي بشكل خاص، فيمكن عقد ندوات دورية في المراكز الثقافية والمساجد أو الجامعات تحت إشراف المؤسسات الاجتماعية، والدينية.

تناقش هذه الندوات وتعرض أهم الحلول لمشكلات اقتصادية هامة منها:

- * مشكلة إسراف الماء والكهرباء والموارد الطبيعية.
- * الحد من الإنفاق الاستهلاكي، ومعالجة حمى التسوق الشرائي.
- * معالجة الإدمان التسوقي للسلع والماركات العالمية.
- * التعريف بالمنتجات والسلع الوطنية، والتشجيع على شرائها؛ لأنها الأرخص والأجود، بالإضافة إلى أن شراء المنتج الوطني، يرفع من اقتصاد البلد، ويحد من هيمنة تحكم الدول الاستعمارية الكبرى في رقاب الدول العربية والإسلامية.
- * التعريف بالأزمات الاقتصادية العالمية، والمجاعات العالمية.

ويجب أن يرافق هذه الندوات حملات إعلامية مرئية، وإعلانات طرقية، مع التشجيع على حضور هذه الندوات بأساليب وطرائق متعددة، فقد نجد آلاف الأشخاص في حفل غنائي ساهر، لمطرب تافه، وقد نجد آلاف المشجعين في ملاعب كرة القدم، وآلاف المستطعمين في المطاعم والمقاهي، وقد نجد بضع





أشخاص في ندوة ثقافية، أو أدبية، أو علمية، إنَّ لا نقلل من أهمية الفن أو الرياضة، أو الاستمتاع بالراحة، ولكن التربية الاقتصادية الإسلامية تسعى إلى كل ما هو هادف وبناء.

❁ الحملات الجماعية:

تساعد الفرد على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصي عن الوالدين وسائر ممثلي السلطة، تساعد في اكتساب الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة، فالفرد في أثناء مشاركته في هذه الجماعة يكتسب ويتعلم مكانات وأدوار اجتماعية مثل القيادة والتبعية^(١).

تتيح الفرص لأفرادها لتوسيع آفاقهم الاجتماعية، وإنماء خبراتهم واهتماماتهم، حين تتولى هذه الجماعات ما لا تستطيع المؤسسات الأخرى متابعته.

دور الإعلام يتمثل في تحقيق أهداف الحملات الإعلامية من خلال نشر الفكرة وتوضيحها وشرحها شرحاً مفصلاً^(٢).

ولهذا فالحملات الجماعية بحاجة إلى الإعلام للتعريف بها، والحض على المشاركة فيها، وهذه الحملات يجب أن تأخذ طابعاً تربوياً اقتصادياً، تسهم من خلالها في الحد من استنزاف الموارد الطبيعية، وتدفع بالمجتمع نحو ترشيد اقتصادي معتدل، يعود نفعه على الإنسان وعلى البيئة، وسنعرض مثالا لحملة جماعية تمت في العديد من المحافظات السورية.

(١) زهران، التربية والتنشئة الاجتماعية، ٣٢٢.

(٢) مهدي، محمد محمود، المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د. ت، ٢٠٥.





❁ حملة تدوير الورق الوطنية التطوعية (٥ - ١ - ٢٠١٠م):

هي حملة أطلقتها الهيئة الشبابية للعمل التطوعي، وتسهم في المحافظة على الغطاء الأخضر وتوفير المياه.

أما البرامج المستقبلية لهذه الحملة تشمل حملات أخرى تستهدف تدوير الزجاج، بالإضافة إلى موضوعات خدمية وطيبة من خلال مشاركة المتطوعين في وضع خطط ومراحل تنفيذ وتقييم المشاريع التطوعية.

إن حملة تدوير الورق من أهم الأعمال التطوعية التي قام بها الاتحاد الوطني لطلبة سوريا، حيث تم فيها إشراك المتطوعين في مرحلة التخطيط لهذه الحملة وذلك من خلال تشكيل ورشة عمل شارك فيها أكثر من (١٠٠ متطوع) تم من خلالها الوصول إلى خطة عمل وبرنامج متكامل لهذه الحملة.

وكان اليوم الأول للحملة (٥ - ١ - ٢٠١١م) وكانت انطلاقة الحملة من كلية الحقوق، وكلية الاقتصاد حيث تم إخراج الورق من جميع مكاتب وغرف وساحات الكلية، ووضعها ضمن حاويات مخصصة للورق، وبعد الانتهاء من جمع جميع النفايات الورقية تم ترحيلها إلى معمل الورق من أجل إعادة تصنيع الورق بهدف الاستفادة منه ولهذه الحملة مجموعة من الأهداف أهمها:

* نشر ثقافة التطوع وما يحمله المتطوع من أهداف سامية.

* المحافظة على البيئة ونظافتها.

* تحقيق مردود اقتصادي من خلال حملة تدوير الورق.

لا يخلو منزل أو مدرسة أو معمل أو مكتب أو مؤسسة حكومية أو أي مكان





من الأوراق التي تتبدل كل يوم، ويُتلف بعضها ويُحفظ بعضها الآخر، وأصبح هدر الورق بالنسبة لطالب المدرسة الصغير أو الكبير أمرًا عاديًا فكيف بالنسبة للشركات

وجاءت مؤخرًا الهيئة الشبابية للعمل التطوعي لتدارك هذا الهدر بإطلاق حملتها الوطنية التطوعية لتدوير الورق، فكان الإعلان عن الحملة في (٥ - ١٢ - ٢٠١٠م) والبدء بالعمل الفعلي في الشهر الأول من عام (٢٠١١م) حيث تمت دعوة الشباب للتطوع والمبادرة وطرح الأفكار والبرامج والنشاطات التي يرونها مناسبة لإغناء الحملة، فكانت البداية في كل من محافظة دمشق، حلب وحمص ودير الزور وسبق ذلك ورشات تدريب للمتطوعين.

تخيّلوا ماذا يفعل .. (١ طن) ورق؟

(٧٠٠٠) جالون من الماء، و ٦٠ % من الطاقة التي نحتاجها لإعادة تصنيع الورق من خاماته الأولية، و(٢٧٢١٦) كيلوغرام من تلوث الهواء، و(١٤٣٨) لترًا من الوقود، و(٤٠٠٠) كيلو واط ساعي من الكهرباء، و(٢) متر مكعب من الحجم في مدافن النفايات، وإنقاذ (١٧) شجرة كبيرة.

تخيّلوا هذا ما يوفره إعادة تصنيع طن واحد من الورق، كما ذكرت دراسة الهيئة الشبابية للعمل التطوعي، عندما بدأت حملة تدوير الورق وانتشرت إعلاناتها تعرضت لعدة أسئلة من المواطنين فيما يخص آلية عمل الحملة وإعلامًا لمن سألني وللجميع فقد استفسرت من الهيئة الشبابية عن أسئلتهم.

أفادتنا الهيئة الشبابية بأنها عملت في هذه الحملة مع (١٢) شريكًا من جمعيات أهلية ومنظمات دولية ووزارات ومؤسسات حكومية، وتوزع هؤلاء الشركاء





على أربعة قطاعات وهم المدارس - الجامعات - الهيئات الحكومية - القطاع الخاص بحيث يقوم الشركاء بتأمين الحاويات المطلوبة واللازمة للقطاع الذي استلموه، وفي حال اتصلت أي مدرسة أو جامعة أو شركة بالهيئة الشبابية وطلبت حاويات فتقوم الهيئة بتأمينها مباشرة.

وأحد الأشخاص سأل: أنه في حال كان يملك قدرًا من الورق وفي منطقته لا يوجد حاوية تابعة للحملة فكيف سيرسله، أجابته الهيئة بأنه يستطيع الاتصال بالهيئة وإعطاءهم العنوان، فتقوم الهيئة بإرسال شخص لإحضار الورق وهذا يسر الهيئة لأنه يدعم الحملة.

فيما يتعلق بالحاويات وشكلها فتم تصميم وتصنيع نموذج لحاوية مخصصة لفرز النفايات الورقية لاعتمادها من قبل الشركاء، وتحمل الحاوية شعار الحملة وشعار الجهة المصنعة، بالإضافة لتخصيص جزء من الحاويات الموجودة في القطاعات للبدء بحملة فرز النفايات الورقية بعد تأهيلها ووضع ملصق مقاوم للعوامل الجوية يشير إلى أنها مخصصة لهذا الغرض.

تعتبر الحملة الوطنية لتدوير الورق خطوة ريادية لإنقاذ آلاف الأشجار وهو أكثر الأمور أهمية بعد تقلص المساحات الخضراء في بلدنا، بالإضافة لنقص المياه وازدياد التلوث، لذلك علينا التعاون جميعًا لتقليل نسبة الهدر بأبسط شيء نستطيع فعله وهو جمع الورق في كيس خاص، ليتم إرساله لمعامل تدوير الورق، ويجب أن يعي أطفالنا في المدرسة وفي المنزل دور حملة تدوير الورق ليساهموا فيها، فالأطفال من الشرائح الأكثر استهلاكًا للورق، فتدوير الورق ذو أهمية كبيرة على المدى البعيد.





هذه الحملات تشجع الأبناء على المشاركة في العمل، وعلى المؤسسات الاجتماعية تشجيع مثل هذه الحملات، وتكثيفها، وتنوع وتعدد مقاصدها، فيمكن إطلاق حملة لجمع الملابس، وأخرى لجمع الدواء، وثالثة لجمع الألعاب وغيرها كثير، وكل هذه الحملات ستساهم في رفع سوية التربية الاقتصادية في المجتمع، فيعتاد الأبناء على العمل التطوعي، ويشاركون بالحفاظ على البيئة، ويساعدون الفقراء والمحتاجين بأشياء مفيدة ينتفع منها الآخريين بدل رميها، أو الاحتفاظ بها في الخزائن حتى تتلف ولا تعود صالحة للاستعمال.

✦ المراكز الثقافية:

هي مؤسسات ثقافية يُحفظ فيها تراث الإنسان الثقافي ليكون في متناول المواطنين من جميع الطبقات والأجناس والأعمار والمهن، وبهذا تُعد من الوسائل التي تعين على نشر المعرفة، والارتقاء بمستوى الفن والثقافة والبيئة^(١).

إن هذا النشء الجديد محتاج إلى تثقيف مستمر وفي كل مجتمع ثقافة تختلف رقيًا واتساعًا باختلاف ذلك المجتمع، إن كل أفراد النشء بحاجة إلى تثقيف كافٍ يؤهلهم للاندماج في المجتمع دون إعاقات، أما في بعض المجتمعات الأخرى يكون العكس هو الصحيح فالمجتمع متخلف ثقافيًا من حيث السمة الظاهرة على هذا العصر وهي سمة الثقافة العلمية التكنولوجية ولذا فإن النشء في هذه المجتمعات إذا تثقف علميًا وتكنولوجياً فيشعر أفرادها بالغرابة في مجتمعهم مما يعيق اندماجهم فيه، وبذا لا يقدمون له شيئًا يوازي دينه عليهم، وإن على المدارس واجبًا مهمًا هو غرس مفهوم خدمة المجتمع وسداد دين التلميذ أو

(١) زهران، التربية والتنشئة الاجتماعية، ٣٤٢.





الطالب لهذا المجتمع^(١).

ويمكن للمراكز الثقافية أن تلعب دوراً هاماً في التربية الاقتصادية، فقيم الندوات التعريفية بالمشكلات الاقتصادية الإقليمية والعالمية.

كما أن اختيار المحاضر الناجح في هذه الندوات له دور بالغ الأهمية في التأثير على الحضور، فيمكن أن يكون المحاضر اقتصادياً بارزاً، يعرض المشكلة من ناحية اقتصادية ويُقدم الحلول المناسبة، يمكن أن يكون المحاضر داعياً مشهوراً، تُجمع حوله الأجساد والعقول، ويكون له الأثر الأكبر في الحوار والعرض والحل للمشكلة الاقتصادية.

ويمكن أن يكون المحاضر مريباً فاضلاً [معلم، أب، أم] يعرض تجربته الشخصية في ممارساته اليومية الاقتصادية مع أبنائه.



(١) الكرمي، الإنسان والتعليم، ٢٢١.





المقالة التاسعة

الدراسات المستقبلية وأهميتها في تعزيز الأمن الفكري^(١)

تعد الدراسات المستقبلية بمثابة السراج الذي يضيء الطريق أمام المخططين وصناع القرار، ليكون تخطيطهم أحكم، وقراراتهم إلى الصواب أقرب، وهذا الأمر ليس من باب التكهن والتنجيم، بل هو عملية منظمة تبدأ من دراسة الماضي بكل ما فيه من أحداث وسنن، لتمر بالحاضر المعاش ومن ثم توظف تلك المعطيات لتوقع ما يكون في المستقبل بإذن الله.

إن استشراف المستقبل ليس علماً حادثاً، بل هو سلوك بشري قديم قدم الإنسان؛ فهؤلاء أنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قدموا لأقوامهم رؤية للغد البعيد، فلقد أخبروهم بما سيحدث من أمور غيبية مستقبلاً، وأبرز مثال على ذلك سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي تنبأ بالسني السبع العجاف، فقدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خطة متكاملة لعبور كارثة القحط المتوقعة، ولذا عهد إليه الملك تنفيذها فخرجت مصر من محنة الجفاف والسنوات العجاف.

والمتمامل في سيرة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعين الفاحص الخبير، يجد أن منهجه الدعوي قائم على التخطيط للمستقبل ورفض العشوائية في التفكير، فلقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعِدُّ لكل أمر عدته، ويهيئ له أسبابه وأهبطه، ولعل حادثة الهجرة والخطط الموضوعية لها، ومتابعة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأحداث العالمية آنذاك الدائرة بين القوى العظمى الفرس والروم، وإرسال الرسائل للملوك والرؤساء

(١) الكاتب: محمد عبيدالله ناصر الشيبتي (صيد الفوائد).





ليدل دلالة واضحة على استشراف الرسول للمستقبل، والتخطيط المنظم لهذا الدين مع التوكل الحق على الله تعالى.

لذا أرى أننا اليوم في أمس الحاجة إلى استشراف المستقبل وبناء رؤية مستقبلية مكتملة واضحة المعالم، صادقة الدلالة وفق أسس علمية ومنهجية، تتسم بالضوابط الشرعية، وخصوصاً في مجال الدراسات التي تهتم بقياس اتجاهات النشء الفكرية والسلوكية ومن ثم المساهمة في تطوير سياسات وإستراتيجيات وأساليب وآليات العمل لمواجهة المشكلات المترتبة على الاتجاهات المنحرفة منها لتفادي أثرها الخطيرة، و تصميم برامج تسهم في تعزيز الأمن الفكري في نفوس النشء.

إن استمرار الباحثين والمختصين في الأمن الفكري في الانغماس في هموم الحاضر و ثقافته الراهنة، والاستناد على معطيات الماضي في عملية تعزيزه - يحرمهم من إمكانية استشراف المستقبل، ويعرقل مسعاهم لرسم خطوات الوصول إلى قيادة العمل العلمي والأمني إلى مستوى تطلعات ولاة أمرنا في هذا البلد الطاهر، في ظل الأحداث الهائلة والتغيرات المعقدة و المتسارعة التي تعصف بالأمة الإسلامية.

لذا أرى أن تأسيس مركز ومرصد علمي للدراسات والبحوث المستقبلية المتعلقة بالأمن الفكري أصبح خياراً إستراتيجياً من الواجب توفره والعناية به، يهدف إلى اكتناف الباحثين والمختصين في الأمن الفكري « الرسميين والمتطوعين » ودعمهم في إطار من الشراكة الدائمة لإصدار الدراسات والأبحاث العلمية الرصينة والوصول إلى بناء قاعدة معلومات واسعة، وتصنيفها





وفق أحدث الطرق والأساليب العلمية والتقنية، كأحد المصادر الهامة التي نأمل أن تمد صناع القرار بمعلومات رصينة مبنية على المنهج العلمي أصيل.





المقالة الحاشرة

التغافل؛ وأخلاق الكبار^(١).

مُعْظَمُ النَّاسِ يَسْعَوْنَ جَاهِدِينَ لِتَحْقِيقِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ، وَنَجَاحِ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ يَكْمُنُ فِي صِدْقِهِ، وَإِخْلَاصِهِ مَعَ رَبِّهِ وَتَطْبِيقِهِ لِأَحْكَامِ شَرْعِهِ، وَمَعَاشِرَتِهِ لِلنَّاسِ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَأَفْضَلِهَا، وَحِمَايَةِ اللِّسَانِ مِنَ الْخَوْضِ فِيهَا لَا يَعْنِي وَلَا يُعْنِي، لِأَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَدْ وَجَّهَ الْمُسْلِمَ لِإِغْتِنَامِ طَاقَاتِهِ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَتَرْكِ مَا يَضُرُّهُ، فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٢).

وَمِنْ حَرِيصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَرَسِ الْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِ أُمَّتِهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنكَرًا فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٣).

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «مَنْ رَأَى» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْكَارَ مُتَعَلِّقٌ بِالرُّؤْيَا، فَلَوْ كَانَ مَسْتَوْرًا فَلَمْ يَرَهُ، وَلَكِنْ عَلِمَ بِهِ، فَالْمَنْصُوصُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَكْثَرِ الرُّوَايَاتِ أَنَّهُ لَا يَعْرِضُ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُفْتَشُّ عَمَّا اسْتَرَابَ بِهِ.

لِذَا لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَظُنَّ بِالنَّاسِ سُوءًا أَوْ أَنْ يَقُولَ فِيهِمْ سُوءًا ظَنًّا مِنْهُ أَوْ اعْتِقَادًا فِي ارْتِكَابِهِمْ لِلْمَنْكَرِ، لِأَنَّ مَنْ «رَأَى» لَيْسَ كَمَنْ ظَنَّ أَوْ اعْتَقَدَ، كَمَا أَنَّ

(١) عبد الرحمن بن عبد الله الطريف، (صيد الفوائد).

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) رواه مسلم





من سلامة الإنسان تغافله عن معاصي الناس وأخطائهم ما لم يُجاهروا بها، ومن أسباب سلامة الإنسان أيضاً عدم التدقيق في كل صغيرة وكبيرة.

وفي صحيح الجامع^(١) يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من تَبَعَ عورةَ أخيه تَبَعَ اللهُ عورتهُ، ومن تَبَعَ اللهُ عورتهُ يَفْضَحْهُ ولو في جَوْفِ بَيْتِهِ».

فاتقِ اللهُ يا من تَبَعَ عوراتِ النَّاسِ وفضائِحهم وتَشْرُها في وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ، وفي غيرها من المجالسِ والمنتدياتِ، وأعلمْ أنَّ مَنْ تَبَعَ عوراتِ النَّاسِ كانَ مِنْ شِرارِ خَلقِ اللهِ، إذ يقول الشاعر:

شَرُّ الوريِّ بمساوي النَّاسِ مُشْتَغَلٌ مثلُ الذُّبابِ يُراعي موضعَ العليلِ

واجعل السَّعادةَ الأخرى هدفاً من أهدافِكَ في هذه الحياة لِيَسْتُرُ اللهُ حالكَ، فلا يُوجد مَنْ ليسَ له عُيوبٌ، واعلمْ أنَّ كلامَكَ مكتوبٌ وقولَكَ محسوبٌ، و اسألْ ربَّكَ أنْ يَسْتُرَ عيوبَكَ.

كانَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقولُ: «أدركتُ بهذه البلدة - يعني المدينة - أقواماً لم تكن لهم عُيوبٌ، فعابوا النَّاسَ؛ فصارتُ لهم عُيوبٌ؛ وأدركتُ بها أقواماً لهم عُيوبٌ، فسكتوا عن عُيوبِ النَّاسِ؛ فَنَسِيتُ عُيوبَهُمْ». مجموع أجزاء الحديث

فالسكوتُ عن عُيوبِ النَّاسِ من أخلاقِ الكبارِ، مثلهُ مثلُ التَّغافلِ عن سَفَهِ الشَّبابِ وزلاتِهِمْ، والكيِّسُ العاقلُ هو الفَطِنُ المتغافلُ عن الزَّلَّاتِ، وسَقَطاتِ اللِّسانِ - إذا لم يَتَرَتَّبْ على ذلك مفاسدُ -.

(١) صحيح الجامع (برقم ٧٩٨٤ و ٧٩٨٥)





إذا أنت عبتَ النَّاسَ عابوا وأكثروا
عليك وأبدوا منك ما كان يُستَرُّ
فإن عبتَ قومًا بالذي ليس فيهم
فذلك عند الله والنَّاسِ أكبرُ
وإن عبتَ قومًا بالذي فيك مثله
فكيف يعيب العورَ من هو أعورُ

والإسلامُ أمرٌ يسترُّ عوراتِ المسلمين، واتقاء مواضع التَّهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١)

كما يدعو إلى التَّغافلِ عن الزَّلاتِ، وإظهارِ عَدَمِ رُؤْيَيْهَا.

وَمِنْ فَصَائِلِ التَّغافلِ مَا رواه الأبيهقي في مناقب الإمام أحمدَ عن عثمان بن زائدة قال: «العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التَّغافلِ». فحدَّثتُ به أحمد بن حنبل فقال: «العافية عشرة أجزاء كلها في التَّغافلِ».

وكثيرًا ما وصفتُ العربُ الكرماءَ والسادة بالتَّغافلِ والحياءِ في بيوتها وأنديتها.

قال الشاعر:

نَزَرُ الكَلَامِ مِنَ الحَيَاءِ نَحَالُهُ
صَمْتًا وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سَقَمُ

وقال آخر:

كريمٌ يَعْضُ الطَّرْفَ دُونَ خِبايِهِ
ويَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي

وقال كثير:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ
وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَطَلَّبُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ
يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وفي وصف ابن الأثير رحمه الله لصلاح الدين الأيوبي قال: «وكان رحمه الله





حليماً حَسَنَ الأخلاقِ، ومتواضعاً، صبوراً على ما يكرهه، كثيرَ التَّغافلِ عن ذُنُوبِ أصحابِه، يَسمعُ من أحدهم ما يكرهه، ولا يُعلمُه بذلك، ولا يَتَغَيَّرُ عليه».

وهذه لعمرى هي أخلاقُ الكبارِ وسادةِ القومِ، وعلى الإنسانِ إذا ما أرادَ أن يعيشَ سعيداً مسروراً محبوباً معدوداً في جُملةِ الكبارِ أن يتحلَّى بها.

وكانت العربُ تردُّ هذا البيتَ كثيراً:

ليسَ الذكيُّ بسيدٍ في قومِه لكنَّ سيِّدَ قومِه المُتغابي

وفي حديث عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «جَلَسْتُ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدَنَ وَتَعَاقَدَنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا. وَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: «زَوْجِي إِذَا دَخَلَ فَيْهَدُ، وَإِذَا خَرَجَ أَسَدًا، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَمِنْ صِفَاتِ الْفَهْدِ التَّغَاوُلُ.

تذكّر - أيُّها الموفِّق - ما مرَّ في يومك وليلتك من مواقف تعاملت فيها مع أهلك، أو أصدقائك، أو طلابك، أو معلميك، أو عامّةِ النَّاسِ، ثم انظر هل تغافلت عن أخطائهم؟ أم حاسبتهم عليها حسابَ الشَّريكِ لشريكه؟

إن لم تكن قد تغافلت عن ذلك فيما مضى؛ فلديك فيما بقي من عمرك فرصٌ جديدةٌ تستحقُّ الاغتنامَ، واغتنامها يكونُ بالتَّغاضي والتَّغافلِ وِغَضِّ الطَّرْفِ:

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تَلْمُهُ على شَعَثِ أَيِّ الرِّجالِ المُهذَّبِ؟

التَّغافلُ خُلُقٌ جَميلٌ من أخلاقِ الكبارِ، وهو من فضلِ الله الذي يؤتیه من يشاء، فاللَّهُمَّ ارزُقنا مِنْ وَاسِعِ فَضْلِكَ.





المقالة الحادية عشرة

نصر الله والمناهج السعودية^(١)

يقول نصر اللات في خطابه التحريضي ضد المملكة العربية السعودية وشعبها^(٢):
«الوقت حان ليقف العالم والدول الإسلامية في وجه السعودية ويوقفونها عند حدها في تصدير التكفير والإرهاب».

ويقول: «هذا الفكر الذي تحمله الجماعات التي تدمر المجتمعات، من أين جاء؟ مدرسة من؟ ثقافة من؟ فتاوى من؟ من يوزع هذا الفكر في العالم ويدرسه في مناهجه التعليمية؟ هذا الفكر التكفيري بكل وضوح المملكة العربية السعودية وبأموال مسلمين وبأموال حج بيت الله الحرام [كذا]».

وهذا كلام يلقي على عواهنه بلا دليل، فالدعوى إذا لم يكن لها بينات أصحابها أذعياء، ولذلك كان المنهج القرآني أن يقال لكل صاحب دعوى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

وهذا كافٍ لإبطال دعوى كل مفتر، ولكن مع ذلك نقول له ولأمثاله من المأجورين عملاء المجوسية الصفوية: رمتني بدائها وانسلت، بل مناهج أسياده أصحاب ولاية الفقيه هي التي تكفر عموم المسلمين، في حين أن مناهجنا^(٤) هي

(١) د. ناصر بن عبد الله القفاري / إبريل ٢٢، ٢٠١٥م / جريدة اليوم.

(٢) الجمعة تاريخ: ١٧ إبريل ٢٠١٥م.

(٣) [البقرة: ١١١]

(٤) الأمثلة كثيرة لكنني اقتصر على النقل فقط من المرجع الرئيس للعقيدة في كليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية، والمتخرج منها يدرس في الابتدائي والمتوسط والثانوي والمعاهد.





التي تقول - كما جاء في المرجع الرئيس في كليات الشريعة الذي ندرسه لطلابنا - : «ولا تكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»^(١) وتقول: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين»^(٢) قال شارح «الطحاوية»: «والمراد بقوله: (أهل قبلتنا) من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء ومن أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

وتقول: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم ولا ينزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»^(٤).

أما مناهج أسياده المنصوص عليها في الدستور الإيراني في مادته الثانية، وما جاء في مناهجهم الدراسية ومصادرهم المعتمدة فهي تقرر وتؤسس أصول العنف والعدوان والتحريض والتكفير لجميع المسلمين من زمن الصحابة إلى يومنا هذا، بل يشمل تكفيرهم جميع فرق المسلمين وطوائفهم.

بل يتجاوز تكفيرهم إلى تكفير من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه ولخير جيل عرفته البشرية، وهو الصحابة، جاء في رجال الكشي (أهم وأوثق كتاب عندهم في الرجال): «ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد...»^(٥) وفي الكافي

(١) متن الطحاوية (ص: ٦٠).

(٢) متن الطحاوية (ص: ٥٦).

(٣) «شرح الطحاوية» (ص ٣٥٠ - ٣٥١).

(٤) متن الطحاوية (ص: ٦٧).

(٥) «رجال الكشي» (ص ١١ - ١٢).





(أهم وأوثق كتاب لهم في الرواية) عن أئمتهم الذين يدعون عصمتهم: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي..»^(١)

وفي الكافي أيضا: «عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك ما أقلنا!! لو اجتمعنا على شاة ما أفيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة»^(٢).

وخصوصا بتكفيرهم أفضل هذه الأمة بعد النبيين، خلفاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبابه وأصحابه ومن أمرنا بالاعتداء بهم، أبا بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذا النورين.

وعقد شيخ الدولة الصفوية المجلسي في كتابه البحار بابًا بعنوان: «باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم»^(٣) بل قالوا في أهم مصدر معتمد لديهم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا من الله، ومن زعم أن لهما يعنون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الإسلام نصيبًا»^(٤).

بل وصل تكفيرهم إلى أهل البيت الذين يزعمون إبتاعهم، ويخدعون الناس بشعار التشيع لهم، فترى أن مصادرهم المعتمدة تكفرهم وتحكم عليهم بالردة

(١) «الكافي»، كتاب الروضة: (١٢/٣٢١-٣٢٢) (مع شرح جامع للمازندراني).

(٢) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب قلّة عدد المؤمنين: ٢/٢٤٤، وانظر: رجال الكشي: ص ٧، بحار الأنوار: ٢٢/٣٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ٨/٢٠٨-٢٥٢ من الطبعة الحجرية.

(٤) «الكافي»، كتاب الحجّة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل إلخ (١/٣٧٣).





ضمن تكفيرهم لعموم الأمة، فتصدر صكوك التكفير العامة التي تتناول جميع أفراد ذلك المجتمع المثالي الفريد، مجتمع الصحابة، ولا تستثني منهم جميعاً سوى ثلاثة، وإن زادت على ذلك لم تتجاوز السبعة، ولا تذكر ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة»^(١).

فهذا حكم بالكفر على جميع آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل عقيل وآل علي وآل جعفر وآل العباس وآل الحارث وأمّهات المؤمنين؛ لأن صيغة الحصر في اللغة العربية تقتضي ذلك، ونصوص تكفيرهم جاءت بأسلوب الحصر والقصر، فلا يخرج منه أحد إلا ما استثني.

بل إن مصادر أسياده المعتمدة لديها خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل التعيين كعم النبي العباس، حتى قالوا: إنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢). وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الكريم.

فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيّف العقل^(٣) وفي رجال الكشي: «اللهم العن ابني فلان واعم أبصارهما كما عميت قلوبهما .. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما»^(٤).

(١) انظر: «تفسير العياشي»: (١/١٩٩)، «البرهان»: (١/٣١٩)، «الصابي»: (١/٣٠٥).

(٢) الإسراء: ٧٢

(٣) أصول الكافي: ١/٢٤٧.

(٤) رجال الكشي: ص ٥٣.





وعلق على هذا شيخهم المصطفوي فقال: «هما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس»^(١).

كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لم يستنوا واحدة منهن في نصوصهم، لكنهم يخصون منهن عائشة^(٢) وحفصة^(٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ بالذم واللعن والتكفير.

وقد عقد شيخ الدولة الصفوية المجلسي باباً بعنوان (باب أحوال عائشة وحفصة) ذكر فيه ١٧ رواية^(٤) وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى^(٥) في كتابه بحار الأنوار المعتمد لدى الشيعة الصفويين المعاصرين، حتى قالوا على لسان أحد شيوخهم أنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب.

وقد آذوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته أبلغ الإيذاء من خلال هذه النصوص وأمثالها.

كما يكفر هؤلاء جميع حكومات المسلمين وحكامهم، فقد قالوا في أهم وأوثق كتاب عندهم في الرواية: «كل راية ترفع قبل راية القائم^(٦) (ع) صاحبها طاغوت»^(٧)

(١) رجال الكشي: ص ٥٣ الهامش).

(٢) انظر: أصول الكافي: ١/ ٣٠٠، رجال الكشي: ص ٥٧-٦٠، بحار الأنوار: ٥٣/ ٩٠.

(٣) انظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٦.

(٤) بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧.

(٥) حيث قال: «قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصص مارية وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك (انظر كيف يقبلون الحقائق) وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل» (بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٥).

(٦) القائم من ألقاب مهديهم المنتظر.

(٧) الكافي (مع شرحه للمازندراني) ١٢/ ٣٧١، بحار الأنوار ٢٥/ ١١٣، الغيبة للنعماني ٥٦-٥٧.





قال شارح الكافي: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»^(١). أي أن كل حكومة تقوم فهي حكومة غير شرعية حاكمها طاغوت من الطواغيت، وإن كان يدعو للحق ويعمل به فهذا لا يشفع له عندهم، ومن يبائع هذا الحاكم فهو مشرك ظالم مستحق للخلود في النار.

بل كفروا جميع قضاة المسلمين وعدوهم طواغيت، واعتبروا حكمهم وجميع أحكامهم ليست لها صفة شرعية بأي حال مهما كان عدلهم وموافقتهم للكتاب والسنة لا شيء إلا لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، والإمامة الباطلة بزعمهم هي كل حكومة لا تخضع للولي الفقيه.

فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فإنما يأخذ سحتنا، وإن كان حقا ثابتا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢)»^(٣).

وقد علق الخميني على هذا النص بقوله: «الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعا إلى الطاغوت»^(٤)

(١) شرح المازندراني على الكافي ١٢ / ٣٧١.

(٢) [النساء: ٦٠]

(٣) أصول الكافي ١ / ٦٧.

(٤) الحكومة الإسلامية ص ٧٤.





وتكفيرهم يمتد إلى الحكم بالكفر والخلود في النار لجميع الفرق الإسلامية، معتدلاً ومتشدها، قريبها وبعيدها، سنيها وبدعيها، ناصبيها وشيعيها، ولا يستثنون سوى طائفتهم.

ولا تظن أن في الأمر مبالغة أو تحاملاً، بل هي الحقيقة المظلمة، فنصوصهم وأقوال شيوخهم في التبري واللعن والتكفير لفرق المسلمين يملأ سوادها المجلدات، ينقل شيخهم المفيد في كتابه «أوائل المقالات» - الذي يعده المعاصرون من شيوخهم عمدة في بيان اعتقادهم -^(١) ينقل إجماعهم على تكفير الفرق الإسلامية كلها وأنهم من أهل النار أجمعين، حيث يقول: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار .. ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»^(٢).

قارن هذا النص بما يقرره أهل السنة من القول: إن جميع أهل البدع لا يكفرون^(٣) بل إنهم يخصون جملة من الفرق الشيعية بلعنهم وتكفيرهم، ويكفي أن تعرف أن الزيدية - وهي من فرق الشيعة - نالهم الذم والتكفير في نصوص كثيرة، وفي عدد من مصادرهم المعتمدة، جاء في الكشي (عمدة مصادرهم في الرجال): «عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصاب»^(٤).

(١) ذكر ذلك شيخهم محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت، وذلك في كتابه الشيعة في الميزان ص ١٤.

(٢) أوائل المقالات ٥٣.

(٣) قال الإمام النووي: «واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع» (شرح صحيح مسلم ١/ ١٥٠).

(٤) رجال الكشي ١٩٩، بحار الأنوار ٧٢/ ١٧٩.





وفي الكافي (عمدة كتبهم في الحديث): «عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن لي جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هم سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا زيدي نصب لنا»^(١).

وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار (الذي يعده المعاصرون المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب)^(٢) باباً في هذا الشأن بعنوان (باب كفر المخالفين والنصاب)^(٣) وعد كل من لم يؤمن بإمامة واحد من الأئمة الاثني عشر في عداد المشركين، وأوجبوا بالتالي: البراءة منه، لأن البراءة من المشركين لازمة.

كما عدوه في عداد الظالمين الملعونين قال القمي: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون»^(٤) فهذا حكم بالتكفير شامل للحاكم والمحكوم من المسلمين ولا يستثنون.

لذا فسر أحد شيوخ الدولة الصفوية حديث: «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» بفرق الشيعة، وقرر أن الناجية منها طائفته الإمامية. أما أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم من سائر فرق المسلمين فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم لم يدخلوا -

(١) الكافي «كتاب الروضة» ١٢ / ٣٠٤ (مع شرحه للمازندراني)، مفتاح الكتب الأربعة ٧٦ / ٨.

(٢) انظر: مقدمة البحار ١٩.

(٣) بحار الأنوار ٧٢ / ١٣٢.

(٤) الاعتقادات لابن بابويه ١١١، وانظر البحار للمجلسي ٢٧ / ٦٢.





في اعتقاده - الإسلام أصلاً^(١).

فهم لم يبقوا من فرق المسلمين أحداً سوى من قال بإمامة أئمتهم ومن يدور في فلك ولاية الفقيه، بل اعتبروا المخالفين لهم من المسلمين أشد كفرةً من اليهود والنصارى.

يقول ابن المطهر الحلبي الذي يلقبونه بالعلامة: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»^(٢).

ولقد بلغ بهم الأمر أن أعلنوا المفاصلة الكاملة والبراءة الشاملة لكل فرقة من فرق المسلمين؛ لأن كل الفرق الإسلامية (ما عدا الرافضة) تثبت خلافة الشيخين، لذا يقول شيخهم الصفوي نعمة الله الجزائري مبيناً أبعاد هذه البراءة من فرق المسلمين «لم نجتمع معهم على إله، ولا على نبي، ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيه وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»^(٣).

هذه نصوص التكفير عامة، وبإزائها نصوص خاصة تتناول الفرق الإسلامية على سبيل التخصيص والتعيين، كلعنهم أهل السنة الذين يلقبونها بالمرجئة، ولعنهم للقدرية والخوارج.

(١) التعليقات على شروح الدوّاني للعقائد العضدية (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني دراسة وتحقيق: محمد عمارة: ١/ ٢١٥).

(٢) الألفين لابن مطهر الحلبي ص ٣.

(٣) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٩.





جاء في كتاب الكافي «عن أبي مسروق قال: سألتني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية^(١) وحرورية، فقال: لعن الله تلك الممل الكافرة المشركة»^(٢).

❁ أما المكفرات عند أسياده فاستمع لبعضها:

(١) من لم يدفع ٢٠% من دخله للولي الفقيه فهو في عداد الكافرين، فتقرر رواياتهم أن مانع الخمس في عداد الكافرين ومن رؤوس الظالمين وهو إنما يأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيًّا، جاء في الوسائل: «ومن أكل من مالنا شيئًا فإنما يأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيًّا»^(٣) عن أبي بصير قال: قلت: «ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهمًا، ونحن اليتيم»^(٤).

يقول العالم الأزهري الشهير د / علي السالوس: «إن مسلمي اليوم إن أرادوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر فعليهم أن يجمعوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا بها إلى علماء الجعفرية»^(٥).

(٢) من لم يؤمن بالغائب الموهوم الذي ينوب عنه الولي الفقيه فهو أكفر من إبليس، قال ابن بابويه القمي: «ومثل من أنكر القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم»^(٦).

(١) صارت الشيعة قدرية فيما بعد، فاللعن يشملهم.

(٢) أصول الكافي ٢/ ٣٨٧، ٤٠٩.

(٣) وسائل الشيعة ٦/ ٣٧٧، إكمال الدين ص ٢٨٧، الاحتجاج / ٢٦٧-٢٦٨.

(٤) وسائل الشيعة ٦/ ٣٧٤، من لا يحضره الفقيه ١/ ١٣، إكمال الدين ٢٨٨، مفتاح الكتب الأربعة ١١/ ٢٥٩.

(٥) أثر الإمامة في الفقه الجعفري ص ٣٩٤ (الهامش).

(٦) إكمال الدين ص ١٣.





وقد خرَّجت هذه المناهج الصفوية التكفيرية الغالية فرق الموت التي هي مصدر الإرهاب والقتل في الشام والعراق واليمن وغيرها. بل جاءت مبادئ أسياده بالأمر بقتل كل مخالف، بل تتوعد العالم كله بتصفية شاملة لا تبقي سوى أصحاب ولاية الفقيه.

تقول مصادرهم: إن إمامهم سئل: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم، لكن أنقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»^(١).

وأما أحلامهم الدموية التي تكون على يد مهديهم عند خروجه، ويتولاها اليوم الولي الفقيه بحكم نيابته العامة وفق النحلة الخمينية، فلا يمكن تصورها من هولها وشدتها قالوا: «ما لمن خالفنا في دولتنا نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا»^(٢).

يقول مرجعهم المعاصر وآيتهم العظمى محمد الصدر: «إن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ [والولي الفقيه ينوب عنه] يبدأ غزو العالم انطلاقاً من الكوفة، بإرسال السرايا وبت الجيوش المتكاملة للقيام بهذه المهمة»^(٣). يعني قتل البشرية واستئصالها، ثم يقول: «وهذا القتل الشامل للبشرية كلها يتعين حصوله بحرب عالمية شاملة قوية التأثير»^(٤).

(١) علل الشرائع لابن بابويه ص ٢٠٠، وسائل الشيعة ١٨/٤٦٣، بحار الأنوار ٢٧/٢٣١.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/٣٧٦.

(٣) «تاريخ ما بعد الظهور» (ص: ٤٥٠).

(٤) «تاريخ ما بعد الظهور» (ص ٤٨٣).





لذا قرر الباحثون أن هذه الثقافة التكفيرية الدموية ترجع في جذورها إلى اليهودية التلمودية، ويكفي منها ما جاء في توراتهم المحرفة من قولهم: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما»^(١). وما جاء في التلمود من قولهم: «اقتل الصالح من غير الإسرائيلي، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»^(٢) وقال التلمود: «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر»^(٣) لأن من يسفك دم الكفار يقرب قرباناً لله»^(٤) لكن المجوسية الصفوية تجاوزت جرائمها جرائم يهود، كما يشهد بذلك تاريخهم وواقعهم.

وفي النهاية نقول لنصر الله وفق أسلوبه: هذا التكفير للأمة جميعاً « حكماً ومحكومين» واستحلال دماء كل المخالفين - حتى الفرق الشيعية - وتوعد البشرية كلها بحرب لا تبقي ولا تذر، ثقافة من هذه؟ ودين من هذا؟

إنها ثقافة الصفويين، ودين المجوس الحاقدين، وسادية متوحشة من فيض المآثم ودعاوى الصراع المفتعل بين الآل والأصحاب، ليس هذا من هدي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا من هدي الشيعة.



(١) سفر التثنية ٢٠: ١٦.

(٢) الكنز المرصود ص ٢٠٣، ط. الشرقاوي.

(٣) والكافر في اصطلاح التلمود هو غير اليهودي.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٥.





المقالة الثانية عشرة

عواصف الحزم^(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد:

لم يكن صباح ٦/٦/١٤٣٦هـ كغيره من الصباحات، حيث استيقظ العالم على واقع جديد، يطمح فيه الكثير أن يكون مؤشراً للعهد الإسلامي وعربي وسعودي جديد على إثر عاصفة الحزم، تلك العاصفة التي وبرغم حساسيتها وصعوبتها وكلفتها المالية والبشرية إلا أنها تسببت بفرح عارم وإجماعٍ محلي وتأييدٍ إقليمي وانصياعٍ دولي غير مسبوق.

❖ والسؤال هنا؟ ما هو سر ردود الفعل الإيجابية إزاء عاصفة الحزم؟

المجتمع العربي والإسلامي بشكل عام يعاني من فقر وتخلف تنموي ومعيشي، والناس يعرفون جيداً معنى الحرب وخطورتها على الأرواح والأموال، وبرغم ذلك رحبت بها المجتمعات العربية والإسلامية بجميع أطرافها وطبقاتها وتياراتها! بل وحتى المجتمع اليمني! فما هو السر في ذلك؟

لقد عاشت منطقة الخليج في العقد الماضي طفرة نفطية تاريخية أنفقت فيها حكومات الخليج على شعوبها الكثير من الأموال والمشروعات التنموية وضخت جهودها الإعلامية والتعليمية والأمنية بغرض الحفاظ على السلم الاجتماعي واللحمة الوطنية وغرس الولاء الوطني، ولكنني أزعج أن أيًا من قرارات الرفاه والسلم تلك لم تستطع تحقيق أهدافها بحجم ما فعله قرار الحرب

(١) أمين بن بخيت الزهراني / ١٣ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ / (صيد الفوائد)





التمثل في عاصفة الحزم!

ودعني هنا أتحدث عن الواقع السعودي بالذات، فإنه بدا لكل مطلع بأن قرار عاصفة الحزم حطم وبشكل مفاجئ حواجز الخلاف والنزاع بين معظم أطراف المجتمع السعودي بمختلف توجهاته الدينية والثقافية والعلمية والفكرية! ووجد صفوفهم حول أصحاب القرار بصورة لافتة يُجمع الكثير على أنها حالة فريدة.

لم تقتصر ملامح التوحد على المجتمع السعودي فقط بل تجاوزه إلى المجتمع الخليجي والعربي والإسلامي في تحالف استثنائي جمع تحت مظلته أصدقاء ورفقاء بصورة وحدوية أجبرت القوى الغربية على مسيرته ودعمه.

والسؤال هنا يتكرر؟ ما هو السر خلف ذلك؟ ما هو السر الذي جعل قرار الحرب أبلغ أثراً في وحدة الأمة من قرارات السلم والرفاه؟

للإجابة عن هذا السؤال، علينا أن نستحضر قرناً كاملاً مليء بكل ما يجعل الأمة في مؤخرة الركب الحضاري.

وعلينا أن نستحضر مشاعر القهر من استفزاز بضعة ملايين من شذاذ الآفاق الصهبانية لإرادة مليار ونصف المليار مسلم

وعلينا أن نستذكر مشاعر السخط من الواقع الذي جعل من قتل رجلٍ (غربي) في غابة جريمة لا تغتفر، وحرقت شعب (سوري) كامل مسألة فيها نظر!

وعلينا أن نستحضر عبث الغرب بمقدرات وخيرات الشعوب الإسلامية، وتدخلاته في قراراتها ومناهجها وفي مساجدها وحتى قرآنها!! بل وسخريته بدينها ونيها دون خوف أو خجل!!





لمحاولة فهم مشاعر الاستبشار التي تلت ضربة الحزم، علينا أن نستحضر العقاب الغربي للثورة السورية واتهامه لها بالإرهاب بسبب تدخل بضعة أفراد من غير السوريين بطريقة غير رسمية، بينما يسمحون بتدخل الجنرال الإيراني قاسم سليمان والحرس الجمهوري الإيراني وحزب اللات اللبناني وبشكل معلن وبجيوش رسمية، ويتركونها تعيثُ فساداً في العراق وسوريا ولبنان واليمن دون عتاب أو عقاب أو وصمٍ بالإرهاب، بل ويباركون تدخلها !!

وعلىنا أن نستذكر ملاحقة المجتمع الدولي لمؤسسات العمل الخيري الإسلامي والسعودي! وفي المقابل يترك المؤسسات الصفوية والتبشيرية تسرح وتمرح دون رقيب أو حسيب !

وعلىنا أن نستحضر مشاعر الغبن التي تعيشها الشعوب المسلمة من حالات الإستغلال والإستغناء والعنصرية والفوقية التي يمارسها قادة الغرب مع الشعوب المسلمة !!

ذلك الإستغلال الذي جعلهم وبكل بجاجة يصنفون كل خطأ يقوم به مسلم (جاهل) بالإرهاب الإسلامي! في حين يبررون للطيار (الأبيض) الذي فجر في ١٥٠ من ركاب الطائرة الألمانية ويصفونه بأنه مجرد مريض نفسي !!

ذلك الاستغلال البجح الذي جعل مشاعر الرأفة تتغشى وزيرة السويد ذات مساء! لتستيقظ ذات صباح وقد حملت في أحشائها همّ البشرية جمعاء! فتمخضت عن خديج الإنسانية الغربية العوراء الشوهاء!

وبينما هي كذلك، إذ صرخ ضميرها وتفجرت ينباع الرحمة من صدرها فجأة! بالطبع، ليس لأجل ٢٥٠ ألف قتيل سوري ولا ٤ ملايين لاجئ سوري!





لم تصحو إنسانيتها لأجل آلاف المحروقين من أطفال ونساء بورما! ولا لأجل أحكام إعدام آلاف الأحرار!
كل الجرائم الكونية تلك لم توقظ ضميرها! ولم تثر حفيظتها بقدر ما أثاره حكم قضائي بالجلد لمجهول! فرفعت عقيرتها ملوَّحة بالتهديد للسعودية بكرتِ حقوق الإنسان!.

عاشت الشعوب المسلمة رديحاً من الزمن في حالة إحباط وانهازية حتى اقتنع بعض أفرادها بدونيتهم واستسلموا لكل ما يمليه الغرب عليهم، وانسلخ البعض من مبادئهم وقيمهم وربما دينهم إرضاءً للغرب! ولم يزد ذلك الغرب إلا عنصرية وبجاجة! فجبرت منظمات حقوق الإنسان لصالح (الإنسان الغربي) فقط! وجعلوا مصائر الشعوب مرهونة بقرارات مجلس الأمن! بالطبع المقصود بالأمن هو (الأمن الغربي) و (الصهيوني) فقط!.

فجاءت عاصفة الحزم فشخصت لها أعين المقهورين لعلها تعلن مرحلة جديدة من الاستقلالية بالقرار العربي والإسلامي بشكل عام وبالقرار السعودي بشكل خاص لم يقتصر أثر عاصفة الحزم على إيقاف نزيف الدم العربي فقط بل وإيقاف نزيف الكرامة والعزة العربية والإسلامية التي امتهنتها القوى الغربية والصفوية، فسرت نشوة الفخر في عروق المجتمعات المستضعفة وتوالت خطابات التأييد العربي والإسلامي، الأمر الذي أرغم القوى الغربية على احترامه، وبعدها مباشرة اعتذرت حكومة السويد على إساءتها للقضاء السعودي! واختفت اللهجة العنصرية من الخطاب الإيراني! وانتظمت صفوف أهلنا في سوريا! وتعثرت الميليشيات الصفوية في العراق! واحتشد أهلنا في الأحواز! وهوجمت روسيا في أروقة القمة العربية!





ظن بعض الحكام أن الشعوب تحتاج فقط للطعام والشراب، لكن لم يفتن بعضهم أن هناك ما هو أشد إيذاءً للشعوب من نقص الماء والغذاء، ألا وهي نقص العزة وجرح الكرامة، الأمة متعطشة لقيادات ورموز تعيد للأمة مكانتها وثقتها بنفسها ذلك التعطش الذي دفع بعض شباب الأمة للاغترار بكل صاحب شعار بطولي مخادع! وجعلتهم يوماً ما يهتفون بالتقديس لحزب الشيطان الصفوي!

ولو أن رموز الأمة الحقيقيون قاموا بواجبهم اتجاه قضاياها لما انجرف بعض الشباب وراء رموز الغلو والتكفير المجهولين!

نعم، الأمة متعطشة لمشاعر العزة والكرامة والقوة أشد من تعطشها للمال والشراب فنقص الطعام يؤدي الجسد فقط، أما نقص الكرامة يؤدي الروح والعقل والجسد جرح الجسد يلتئم بتوقف الدم، أما جرح الكرامة فقد لا يلتئم إلا بنزيف الدم، آن الأوان أن يدرك قادة الأمة أن الشعوب تريد قادة أشداء على الأعداء رحماء على أمتهم، وليس العكس!!

آن الأوان أن يدرك قادة الأمة أن الشعوب تفخر بدول قوية لها كلمتها واستقلالها وقرارها، الوطنية ليست شعارات ترفع بل رؤس ترفع، انطلقت عاصفة الحزم فاشرأبت لها أعناق الغارقين وتعلقت بها آمال المطحونين في سوريا وفلسطين والعراق وبورما وأفغانستان والفلبين، لعلها تتشلهم من وحل الاستضعاف، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وِليًا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥).

(١) سورة النساء الآية ٧٥.





بالطبع هنا لا نعني الدعوة لإطلاق حملة عسكرية وإعلان حرباً عالمية، فالحزم ليس بالضرورة أن يكون عسكرياً، فلدى الأمة - إذا اتّحدت - أسلحة كثيرة قد تكون أنكى من الخيار العسكري، ولا يخفى على كل عارف أن لدى الأمة الإسلامية ثقلاً إقتصادياً وجغرافياً وبشرياً وتاريخياً وديناً تستطيع من خلاله قلب موازين القوى وخاصة في ظل النظام الرأسمالي العالمي الذي يشكل الاقتصاد فيه عصب الحياة.

كما أن الحزم لا يتعارض مع التفاوض مع الأعداء ومهادنتهم ومحاورتهم، ولكن هناك فرق بين تفاوض القوي وتفاوض الضعيف، فرقٌ بين نتائج حوارٍ لطرفين أحدهما ملوئٍ الذراع مكموم الفاه وآخر مطلق اليد واللسان.

شروط الضعيف تتخذ طابع الاستسلام والتنازلات، أما شروط القوي تتخذ طابع التسلّط والإملاءات، جاءت عاصفة الحزم، ففرح المؤمنون، لعلها تكون شرارة لعواصف حزم متوالية تقلب واقع الأمة، فكم نحن بحاجة إلى عاصفات حزم على جميع مستويات الأمة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والعلمية والدينية الداخلية والخارجية، فلنطلقها عاصفات حزم تقتلع التخلف من جذوره.

ولتكن أولى تلك العاصفات: عاصفة حزمٍ لاجتثاث الفساد والظلم بجميع ألوانه وأنواعه ومستوياته، ولتكن للأمة عاصفة حزمٍ صناعي تنهض بها لتصنع لباسها وسلاحها.

ولتكن للأمة عاصفة حزم مع الجهل: فيتبنى قادة الأمة مشاريع مشتركة كبرى للتعليم ونشر الوعي ورفع الجهل، وفي مقدمتها رفع وعي الأمة بدينها وعقيدها،





فتحرير الأمة من عبادة الحجر والشجر والقبر هو طريقها للتحرر من سطوة البشر!
ولا بد من عاصفة حزمٍ تعصف بالإعلام المحارب لهوية الأمة وقيمها
وأخلاقها، فإن الاختراق الغربي والصفوي والصهيوني لشعوبنا سبقه اختراق
لإعلامنا، وإلا بماذا نبرر ما قامت به وسيلة إعلامية مدعومة بأموالنا من استبدالٍ
لمسمى الخليج العربي بالخليج الفارسي !.

ذلك الاختراق الذي أثار دهشة الإعلامي المصري د. جمال سلطان فصرح بها
مغرداً في تويتر: «مدهشٌ جداً أن تكافئ مجموعة «إم بي سي» السعودية الإعلامي
إبراهيم عيسى بأربعة ملايين جنيه سنوياً على إهاناته المتكررة للمملكة حكومة
وشعباً ومذهباً».

كما أن أيام الحزم لا يمكن أن تسمح بتكرار احتفاء العدو الصهيوني بمقالات
كتاب محسوبين علينا ونشرها في وسائل الإعلام الصهيونية الرسمية !!
ولقد آن الأوان لعاصفة حزمٍ تعصف بأثار ١١ سبتمبر وتحطم قيود العمل
الخيري السعودي والإسلامي ليستعيد عافيته، لينطلق في مواجهة حملات التشيع
الصفوي والتبشير النصراني في أنحاء العالم.

وكم نحن بحاجة لعاصفة حزمٍ مع ملف قضايا المعتقلين في بلداننا، فإن قرار
العفو أسمى وأشد حزمًا من قرار العقاب، لقد عانت الأمة كثيراً طوال قرن من
الزمن من شعارات القومية والليبرالية والاشتراكية، فآن للأمة أفراداً وشعوباً
وقادةً أن يعيدوا صياغة علاقاتهم فيما بينهم بمنظور إسلامي، وأن يضعوا نصب
أعينهم مقولة الخليفة الحازم «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزة
بغيره أدلنا الله».





اللهم أبرم لهذه الأمة أهل حزم وورشدٍ سلمًا لأوليائك حربًا على أعدائك
اللهم اجعل عاقبة هذه العاصفة هزيمة للصفويين والنصيرين الصهيونيين
واجعلهم كالعصف المأكول
اللهم بك نصول ونجول، فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا قوتنا طرفة عين
اللهم طهر قلوبنا من الثقة إلا بك، ومن التوكل إلا عليك





المقالة الثالثة عشرة

العيد الوطني وتوحيد العبادة^(١)

هذا اليوم هو يوم الاثنين السابع عشر من ذي القعدة، وهو يصادف العيد الوطني بمناسبة ذكرى توحيد مملكتنا السعودية فشرع القائمون على الأمر الاحتفال به بعد ممانعة طويلة من العلماء.

هو عيد ولو سموه يوماً وطنياً، وهو يضاهي الأعياد الشرعية ويكاد يقصدها ويقضي عليها كما تقضي السنة البدعة، وكما يقضي الشرك التوحيد.

ففي العيد الوطني تؤمر الشركات والمؤسسات والأسواق والمحلات التجارية بالتعطيل فيه قسراً، وتفرض غرامات على من يخل بذلك، ولا يفرض ذلك في العيدين الشرعيين: (عيد الفطر وعيد الأضحى) فأيهما أكبر؟

أبرز ما قامت عليه مملكتنا الحبيبة هو اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب جعل الله سبحانه الجنة مثواه ومأواه منهجاً وسلوكاً للدولة، فرسائل الشيخ المبجل، وسيرته العطرة مع سيرة مناصره الأمير المؤيد محمد بن سعود طيب الله تعالى ثراه قد فرض تدريسها في التعليم العام والعالي، وشيوخ الدولة من علماء وقضاة ودكاترة ودعاة وأئمة مساجد شرحوا كتب الشيخ ورسائله وقرأوها في دروسهم عشرات المرات حتى تشبع السعوديون بها، فصاروا في الخارج ينبزون بالوهابيين وصار لمن تأثروا بهم في البلاد الأخرى سمت وهدى يعرفون به، فيعادون بسبب انتسابهم لدعوة الشيخ الإمام.

(١) جمعة عيد الخطيب / بتاريخ ١٧ / ١١ / ١٤٣٤هـ (صيد الفوائد)





وأبرز ما في دعوة الإمام ابن عبد الوهاب تعظيم جناب توحيد العبادة (الألوهية) والذب عنه، وقطع كل طريق يخل به.

ولم ينعم توحيد الربوبية ولا توحيد الأسماء والصفات في دعوة الشيخ بما نعم به توحيد الألوهية من التقرير والتحقيق والشرح والتكرار والإلحاح، وسبب ذلك:

أن الشيخ ظهر في بيئة كان خلل توحيد العبادة فيها كبيراً جداً، مع إقرارهم بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه عادة المصلحين أنهم يركزون جهدهم في دعواتهم على الخلل السائد في مجتمعاتهم.

❖ ومن أساسات توحيد العبادة:

صرف التعظيم لله عَزَّجَلَّ وحده دون غيره، فلا تعظيم في مفهوم توحيد العبادة إلا لله سبحانه، ولا تعظيم إلا لما عظمه جل وتعالى وأي تعظيم يصرف لغير الله عَزَّجَلَّ أو لغير ما عظمه سبحانه فهو يدخل في دائرة الشرك الأكبر أو الأصغر بحسب نوع التعظيم ومعتقد المعظم.

وكتب أئمة الدعوة النجدية وتلامذتهم في مختلف البلدان من بداية دعوة الشيخ إلى وقتنا هذا زاخرة بتقرير أن التعظيم لا يكون إلا لله تعالى، وأن تعظيم غيره شرك، ومحاربة شيوخ الدعوة للقبورية هي بسبب تعظيم القبور الذي أدى إلى الشرك؛ فإن عباد القبور والمشاهد عظموها أو عظموا من نسبت إليه سواء دفن فيها أم لم يدفن فيها، فسألوهم من دون الله عَزَّجَلَّ، وأقاموا على قبورهم، وتبركوا بهم، واستعانوا واستغاثوا فأشركوا.





ومما يناقض توحيد العبادة تعظيم أيام لم يرد تعظيمها في الشرع، وتعظيم أشخاص كان لهم أعمال أو إنجازات في تلك الأيام المعظمة، وهذه هي حقيقة العيد الوطني، فإنه قد عظم اليوم لما حصل فيه من توحيد المملكة، وعظم من كان توحيدها على يديه وهو الملك عبد العزيز رحمة الله تعالى عليه، ولا يشك من عنده أثره من علم - ولو قليل - بالتوحيد أن الاحتفال باليوم الوطني قد اتخذ عيداً، وأنه زمان قد عظم - ولا يزال يغرس تعظيمه في القلوب - وأن تعظيمه يخل بتوحيد العبادة الذي قامت عليه البلاد.

ولذا اجتمعت كلمة علماء المملكة منذ نشأتها إلى يومنا هذا على عدم جواز الاحتفال باليوم الوطني، وأن الاحتفال به، أو تمييزه عن غيره من الأيام بشيء فإنه يُدخله في مسمى العيد ولو لم يسمى عيداً.

ولم يكن غريباً أن يسخر من يحييون المولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات بمن يفرقون بين عيد المولد وبين عيد الوطن؛ لأن العلة واحدة في كليهما وهي تعظيم زمن لم يعظمه الله تعالى، واحتجاجهم صحيح لا غبار عليه باعتبار النظر إلى تعظيم زمن لم يرد تعظيمه في الشرع المطهر.

لقد استمات العلمانيون لجرّ الحكومة لإقرار هذا العيد الوطني، وحاولوا كرة بعد كرة خلال عقود فكانت محاولاتهم تصطدم بالعلماء الذين يعظمون جناب توحيد العبادة، ويسدون منافذ الإخلال به أياً كان مصدرها، وبالأمرء الذين يستمعون لكلمة العلماء.

وفي النهاية نجح العلمانيون في كسر هئية توحيد العبادة الذي قامت عليه الدولة السعودية، وشرع العيد الوطني رغم أنف علماء التوحيد، وصار رسماً





من رسوم الدولة يتم التعطيل فيه عن العمل، ويحتفل به احتفالاً أشد من عيدي الفطر والأضحى، وينفخ فيه الإعلام العلماني للنكاية بأهل التوحيد من جهة، ولإقناع الحكومة بما يتمتع به العلماني من شدة الولاء للدولة، وهو في الواقع يقوض الأساس الذي قامت عليه، ويزيد المعاول لهدمها وتقويضها بالكلية.

وأما مظاهر العبث الصبائية في الشوارع التي ينقلها إعلامنا العلماني على أنها تثبت الولاء واللحمة القوية بين الشعب والحكومة فهي نوع من الزور والكذب والخداع للتزلف والنفاق والكسب غير المشروع، إذ لا تدل على الولاء لا من قريب ولا من بعيد غير أنها تنفيس عن عبث وجد الشباب أن هذا اليوم لعظمته عند من شرّعه يؤذن لهم فيه بالعبث وارتكاب ممنوعات لا يسمح لهم بها في غيره، ولو أن الدولة شرعت أياماً أخرى يؤذن لهم فيها بما أذن لهم به في العيد الوطني من العبث والضياع وانتهاك الحرمات، وليسموا هذه الأيام بأحقر الأسماء:

كالاحتفال بيوم القضاء على الفئران أو الاحتفال بيوم إتمام شبكات الصرف الصحي أو الاحتفال بيوم تدشين زراعة الفاصوليا لوجدت نفس مظاهر التجمهر والعبث الشبابي لا تتغير ولا تنقص في الاحتفال بالفئران أو المجاري أو الفاصوليا عن الاحتفال بالعيد الوطني ..

فيا عقلاء بلادي: صونوا توحيد العبادة كما صانها أجدادكم، وصونوا البلاد عن عبث يسخط الله تعالى ويستجلب عذابه، وصونوا الأساس الذي قامت عليه الدولة لا يقوضه العلمانيون فتقوض بتقويضه .. والله المستعان على ما يصفون.





المقالة الرابعة عشرة

الحرية .. (النشأة والغاية)^(١)

لا توجد كلمة لاكتها أفواه الشعوب، واستهوتها قلوبهم، وانشغلت بها عقولهم كهذه الكلمة تَنَادَوْا بها في كل واد وناد، ذكروها في كل خطبة أو مقال أو كتاب، رفعوها شعاراً، وجعلوها غاية يَرُخَّص في سبيلها كل غال ونفيس! تنفق في سبيلها الأموال، وتهدر معها الأوقات، وتزهق من أجلها الأرواح، وتسفك في طلبها الدماء، قامت تحت شعارها الثورات، ووقعت تحت لوائها الانقلابات، وحيكت من أجلها المؤامرات .. إنها الحرية !.

وقد درج استعمالها بين عامة الناس وخاصتهم، وبين كبيرهم وصغيرهم، وبين رجالهم ونسائهم، يتردد صداها في جميع جوانب الحياة وأوساطها، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والتربوية بل وداخل الأسر فيما بين أفرادها.

ومن هنا تلوح لنا أهمية تناول هذا الموضوع لنقف منه على: 

- ١) معناه وخصائصه.
- ٢) نشأته وتطوره.
- ٣) موقف الإسلام منه.
- ٤) بشائر ونفحات.

(١)





الحرية ضد العبودية، والحر ضد العبد.

الحرية: هي الإباحة التي يتمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته في أي ميدان من ميادين الفعل، وبأي لون من ألوان التعبير.
أو هي: رفع اليد عن الشيء من كل وجه^(١).

أو هي: القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار^(٢).

ويتضح لنا من تلك التعريفات خصائص ثلاثة للحرية بهذا المعنى:

(١) إنها صادرة عن الإرادة الإنسانية، إذن هي نسبية، يفهمها كل شخص وفق إرادته، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣).

(٢) الحرية مطلقة لا قيود عليها، فمحصلتها أن يترك للإنسان تمام الاختيار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٤).

(٣) لا يترتب عليها أي قيود أو حدود، فكل شخص يسلك ما يريد ولا جزاء عليه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٥) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٦) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٧) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٨).

وبالنظر في القرآن الكريم ودواوين السنة، فلن نجد لهذا المفهوم بنصه أو معناه أصلاً، سوى اسم الفاعل منه في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ

(١) [التعاريف].

(٢) [لغة الفقهاء].

(٣) [الأنبياء: ٢٢].

(٤) [القصص: ٥٠].

(٥) [سورة الشمس: ٧ - ١٠].





بِالْحُرِّ ﴿١﴾ بالإضافة إلى الأثر الذي ورد في قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» وقد ورد هذا المفهوم في المراجع الفقهية، ولكن يقصد بها تلك الحرية تعني التحرر من الرق، فهي ضد العبودية، وهو غير موجود الآن.

إذن الحرية بهذه الخصائص لا تعرف القيود ولا الحدود، حرية بلا غاية، حرية من أجل الحرية، يصير مبتغيها كحيوان انطلق من عقاله يهيج في كل الأودية ولا يعرف له وجهة، يهيم بلا هدى وبلا دراية، ويستحسن بنا أن نسميها باسمها المناسب لهذا المفهوم فهي الفوضى التي لا تعرف حدوداً، ولكن لأنها فتنة فهي تسمى بغير اسمها، كما استحل الناس الحرير والخمر والمعازف.

ولا جرم أن أصل هذه الكلمة واستخدامها بصورتها الحديثة يرجع إلى اليهود، وإلى معتقدتهم الباطل، فهم يزعمون باطلاً أنهم شعب الله المختار، وأن الله تعالى قد خلق الأميين وهم حيوانات ولكنهم في صورة بشر لخدمة اليهود.

وقد جاء في التلمود: «إن الأميين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، وكلما نفق منهم حماراً ركبوا حماراً آخر» ومن هنا فإنهم يستبيحون أعراض الأميين ودمائهم، بل يعدون ذلك تقرباً إلى الرب.

وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (٢) فالخطاب موجه إلى يهود موسى فقط والمعاصرين له وأن الله تعالى رد على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأله بعض الفضل لذريته، رد عليه تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (٣).

(١) [سورة البقرة: ١٧٨].

(٢) [سورة البقرة: ٤٧].

(٣) [سورة البقرة: ١٢٤].





أما وصفهم لغير اليهود بالحمير ففي حقيقة الأمر هذا الوصف يخصهم هم «رمتني بدائها وانسلت»، فقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(١).

وفي سبيل هذا المعتقد الفاسد، كونوا جمعيات ومنظمات سرية عالمية تهدف إلى إفساد الأमीين، عن طريق دس السم في العسل، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها، وعلى رأس هذه المنظمات تأتي الصهيونية والماسونية^(٢).

وقد قرر الله تعالى هذه الحقيقة وأثبت هذا المعتقد وحذر منه قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣). وقد جاء الفعل بصيغة المضارع ليفيد الاستمرار والديمومة وأكد بالنون للحذر والحيطه ولكن..

وقد استخدمت هذه المنظمات مطلب الحرية، كأداة لا غنى عنها لإفساد العالم انطلاقاً من فكر شيطاني محض، فقد أدركوا تماماً مثلما أدرك الشيطان أن الإنسان مجبول مفطور على الفضول ونيل ما منع منه، فكل ممنوع منه فهو لديه مرغوب فقد أكل آدم وحواء من الشجرة التي منعها، حذو النعل بالنعل مثل ما فعل الشيطان.

فقد تبناوا هذا المفهوم وقالوا فيه كما جاء في بروتوكولاتهم: «إن كلمة الحرية تضع كل مجتمع في صراع مع كل سلطة حتى لو كانت سلطة الله أو الطبيعة وحينما نغدو سادة فسوف نمحو هذه الكلمة من المعجم».

(١) [سورة الجمعة: ٥].

(٢) [راجع كتب محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، واقعنا المعاصر، مفاهيم ينبغي أن تصحح، فقد استفاض المؤلف]

(٣) [سورة المائدة: ٦٤].





وقد روجوا لهذا المطلب بمعناه المطلق من الإباحة واللامسئولية للقضاء على المعتقدات والأخلاق، وفقد وضعوا في المقابل مطلب الحرية.

وقد استغلوا ما كانت عليه أوروبا في عصورها الوسطى من جهل وظلام وقمع وتسلط من قبل رجال الدين آنذاك، الذين سلبوا من الشعب الأوروبي كل مقومات حرّيته بل وإنسانيته باسم التفويض الإلهي، فكانت أوروبا تربة خصبة لتنفيذ هذا المخطط الفاسد الخبيث آنذاك فعموا العداة والكره بين الشعب والكنيسة وروجوا لمظاهر الطغيان الكنسي آنذاك.

وقد لعب الفكر دوراً بارزاً في هذه المؤامرة على الدين والأخلاق، سياج المجتمعات فروجوا لنظرية دارون الإلحادية، التي أعلن فيها أن الإنسان حيوان مفطور ولا زيادة وقام صراع عنيف بين دارون وبين الكنيسة، ووقفت الجماهير في صف الكنيسة في البداية ولكن عادت فأيدت دارون بفعل اليهود، انتقاماً من الكنيسة، فارتدت أوروبا على أثرها مادية ملحدة خالصة.

فانسلخت أوروبا من النصرانية إلى المادية باحثة عن المادة والشهوة، اللتين حرمتها منها الكنيسة التي قمعت غرائز الإنسان في سبيل الروح، فانفلت الشعب من الشيء إلى نقيضه.

ولم يقنع اليهود بذلك، والأخلاق لازالت قائمة، فسلطوا عالم النفس اليهودي الماسوني الخبيث فرويد صاحب التفسير الجنسي للسلوك، الذي رد كل نشاط يقوم به الإنسان إلى الجنس، وإن الكبت الجنسي وعدم إطلاقه ينشئ عنه عقدة أوديب، ومن هذه العقدة تنشأ القيم والأخلاق، وهي عملية ضارة تنشأ عنها الاضطرابات النفسية والعصبية والعقد، فضلاً عن تأخير الإنتاج.





فسرى التطور الحديث في أوروبا على أساس مادي جنسي بحث، ولم يقنعوا بذلك أيضاً، فلا زال الدين قائماً وإن كان معطلاً، والأخلاق قائمة وإن كانت مسفة، ويفضى البعض شهواتهم الجنسية عن طريق الزواج.

فأخرجوا للعالم نظريات تدعو للإلحاد وإنكار الدين بشكل صريح لا التواء فيه، منهم نيتشه - لعنه الله - الذي قال مات الإله «تعالى الله على ذلك علواً كبيراً».

وجاء رُشو ومن بعده سارتر، لينكروا وجود القيم وضرورة استبدالها ومن ثم محوها لأنها مفيدة لحرية الإنسان ومعطلة لإنتاجه، ومكبلة لشهواته ونزواته، وجاء دور كايم الذي زعم أن الزواج ليس من الفطرة وأن الأصل في البشرية كالبهائم.

وقد وقف اليهود من خلف هؤلاء وغيرهم، يروجون لأفكارهم، ويسفهنون معارضيتهم، ففشت هذه الأفكار الخبيثة في المجتمع الأوروبي سريان النار في الهشيم، لأنها كان مهيباً لذلك.

هذا على الجانب الفكري إما الجانب السياسي الذي يسيطر على السلوك، فقد عملوا على إقامة الثورات ضد الحكومات التي تتمسك بـ «الدين والأخلاق» باسم الحرية فقد خرجت أول هذه الثورات في أوروبا وهى الثورة الفرنسية على أيديهم وتحت شعاراتهم.

فقد جاء في بروتوكولاتهم: «وفي جميع جنبات الدنيا كان من شأن كلمات "حرية - عدالة - مساواة" إن اجتذبت إلى صفوفنا على يد دعائنا وعملائنا المسخرين ولا يحصيهم عد من الذين رفعوا رايتنا بالهتاف، وكانت هذه الكلمات هي السوس الذي ينخر في رفاهية الأميين ويقتلع الأمن والراحة من ربوعهم ويذهب بالهدوء، ويسلبهم روح التضامن».





فجعلوا أوروبا كلها تنعق بالحرية، الحرية من الدين والأخلاق والتقاليد، حرية مطلقة لا قيد لها، وبعد أن أفسد اليهود أوروبا توجهوا إلى العالم الإسلامي، محاولين بث تلك الأفكار الخبيثة في ربوعه، فلم يكتنفها إلا عدد يسيراً جداً من عملائهم وجهلائنا، أما على الجانب السياسي فهم يقولون: «كنا نحن أول من نادى في جماهير الشعب بكلمات الحرية والعدالة والمساواة وهي كلمات لم تزل تردد إلى اليوم، يرددها من هم بالبغبغاوات أشبه، ينقضون على طعم الشرك في كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفايته، كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية وكانت من قبل في حرو من عبث العلماء».

فأطلقوا الثورات في العالم الإسلامي على يد الماسونيين، فانساحت في العالم الإسلامي فانتشرت بين ربوعه، ضد عملائهم وأعوانهم بغية تقسيم العالم الإسلامي وتمزيقه، فرد الله كيدهم في نحرهم وأبطل خبيثهم بهذه الأمة بينها محفوظة بحفظ الله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠) (١).

فالله تعالى تعهد وتكفل بحفظ دينه، فضلاً عن أن الشعوب الإسلامية لا تعاني مما كانت تعانيه أوروبا من قهر واستبداد ديني، بل على العكس تماماً من ذلك.

فالمسلمون ينفرون بحسهم الديني والخلقي من الحرية أو التحرر الغربي، وينشدون الحرية التي كفلها لهم دينهم في كل مناحي الحياة وجوانبها، بل وفي الدين نفسه قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٢).

وإن كانت الحرية عند الغرب مطلب وحق من الحقوق، فإنها في الإسلام شرط

(١) [الأنفال: ٣٠].

(٢) [سورة البقرة: ٢٥٦].





من شروط التكليف، فإذا انتفت الحرية عن الفعل وغلب عليه القمع تسقط عن صاحبه المسؤولية، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (١).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٢).

والحرية في الإسلام تنطلق من عقيدة وفكر وسط لا إفراط فيه ولا تفريط، فهي حرية مسئولة «لا ضرر ولا ضرار»، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) (٣) وهذه الحرية المسؤولة لا يقوم بتحديدتها إنسان ضعيف تتنازعه الأهواء والميول يترصده شيطان، فالشعوب في الإسلام ليست حقل تجارب تخضع لتطورات الفكر الإنساني الذي يتسم بالتطور وعدم الثبات طبقاً للظروف والملابسات، ومن ثم فإن الإسلام قد وضع إطاراً عاماً لحرية الإنسان، إطاراً يتسم بالثبات والمرونة في الوقت ذاته، إطاراً وضعه خالق الإنسان إطاراً يضمن صلاح الفرد والجماعة.

والحرية المسؤولة هي تلك التي يعرف بها الإنسان أين يتجه وأين يسير ترفع الإنسان وتعلو من قدره وتميزه من حياة البهيمية التي يريدها له المفسدون في الأرض.

وتتصل الحرية المسؤولة بجوهر طبيعة الإنسان والغاية التي من أجلها خلقه الله، كخليفة له في الأرض، خلقه في أحسن تقويم ونفخ فيه من روحه وأناطه بعمارة الأرض وزوده بالقدرات والإمكانات التي تؤهله لأداء ذلك الدور العظيم، فبعث

(١) [سورة البقرة: ١٧٣].

(٢) [حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما].

(٣) [سورة الزلزلة: ٧ - ٨].





إليه الرسل وأنزل الكتب التي تبين له الحلال والحرام والخير والشر وما يحصنه من غوائل الشيطان ونزوات النفس الأمارة، وكفل له مطلق الحرية في الاختيار بين هذا وذلك لأنه مسئول عن اختياره في الآخرة أمام الله وفي الدنيا أمام خليفة الله وظله في الأرض إذا تعدت حريته على الآخرين.

وفي النهاية نقول لأعداء البشرية ما قاله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦) (١).

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ (٣٠) (٢).



(١) [سورة الأنفال: ٣٦].

(٢) [سورة الأنفال: ٣٠].





المقالة الخامسة عشرة

رحلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطائف (١)

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ (٢).

أيها المسلم الكريم:

نقف اليوم مع ذكرى عظيمة في معانيها وإرشاداتها، مع ذكرى تُعلّم المسلم الصبر والثبات على المبدأ والعقيدة، ذكرى تلقّن المسلم في كل زمان ومكان، كيف يتربّي على تحمّل المصائب والشدائد في سبيل نصره دين الله ربّ العالمين، مع ذكرى مليئة بالعبر والعظات والدروس، هذه الذكرى سبقتُ حادثة الإسراء والمعراج، هذه الذكرى هي رحلة مربّي العالم، رحلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف، تلك الرحلة التي قام بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أدرك وعلم أنّه لا مقام له بمكة بعد موت عمّه أبي طالب، وزوجته السيدة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وكثرة إيذاء المشركين له، فلقد أسرفوا في إيذائه إسرافاً بعيداً عن الكرامة والإنسانية.

فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرُّ في السوق، فينشرون على رأسه التراب فيذهب الصابر المحتسب إلى بيته فتغسله السيدة فاطمة، ويدور الحوار التالي بينه وبينها، وعمرها آنذاك ثلاث عشرة سنة، تسأله السيدة فاطمة وهي تبكي:

ما هذا الذي أرى يا أبتاه؟ وتمرح الابتسامة النبويّة على شفثيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الشيخ محمد جمعة الحلبوسي، بتاريخ ٢٨ / ٢ / ١٤٣٣ هـ / (شبكة الألوكة).

(٢) سورة الممتحنة: الآية ٦.





وهو يقول لها: (لا تبكي يا بُنَيَّة، إِنَّ اللهَ مانِعُ أباك) نَعَمْ هذا هو نداء الحقِّ الذي لا يتزعزع، هذا هو الثبات على المبدأ والعقيدة.

وتظَلُّ السَيِّدة فاطمة تبكي، وتقول له: وهل يَبقى هذا يتبعك يا أبتاه؟

فيردُّ عليها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سأغادر مكة يا فاطمة) إلى أين يا أبتاه؟ (إلى مكان يُسمَع فيه صوت الحق، ويعينني على أعدائي) حتَّى إِنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوَّرَ هذه الحقيقة بقوله: (ما نالت مَنِّي قريشٌ شيئاً أكرهه حتَّى مات أبو طالب).

فقرَّر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخرج بالدعوة من مكة إلى الطائف؛ لعلَّ يجد بينهم من يؤمن بهذه الرسالة الخالدة، ويطلب النصرة والعون من أهلها، ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله تعالى.

ولكن أيها المسلم:

* كيف وصل النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف؟

* كيف استطاع أن يقطع كلَّ هذه المسافة؟

* أو هل سار على الأقل على بغير أصيل؟

لا، لا أيها المسلم، إنما سار إلى الطائف على قدميه الشريفتين، وتصوَّروا المشقة التي لاقت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الرحلة من مكة إلى الطائف، والطائف تبعد عن مكة المكرمة حوالي أكثر من خمسة وثمانين كيلو متراً، وكل هذه المتاعب والمِحَن والشدائد من أجل ماذا؟

* هل من أجل الحصول على الجاه؟

* هل من أجل الحصول على المنصب؟





* هل من أجل الحصول على المال؟

* هل من أجل الحصول على الملذّات والشهوات؟

* هل من أجل الحصول على الشهرة؟

لا، بل من أجل أن يُخْرِج النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنْ أَجْلِ الدِّينِ والعقيدة.

وفي الطّائِفِ التي وَصَلَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد جهدٍ طويلٍ يتعرَّضُ لبلاءٍ أكبر، لقد التقى بنفَرٍ من سادة ثقيف، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى الدين الجديد، وعرض عليهم المهمّة التي جاء من أجلها، وطلب منهم السّند والعون.

ولكن أهل الطائِف لم يكونوا أشرفَ من سادة قريش؛ فقد ردّوه ردًّا عنيفًا، وكيف تقبل ثقيف دعوته، وعندهم صنمهم المعبود المقدّس (اللات) الذي تزوره العربُ أيام الصيف الحارِّ في الطائِف فتستفيد ثقيف منهم؟

أمّا لو دخلوا في دين الإسلام، فلن يزورهم أحد، وسيُحرَمون من الأرباح الطائلة، فكيف تقبل ثقيف دعوته؟

كيف يقبلون دعوته وهو يدعوهم إلى مبدأ المُساواة بين العبيد والسّادة، وإزالة تجارة الرِّبَا؟

أهل الطائِف عرفوا أن دين الإسلام سيضرب مصالحهم الماديّة؛ لذلك ردّوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردًّا عنيفًا.

وتأمّل معي كم من المسلمين اليوم من يُفكّر كتفكير أهل الطائِف، بعضهم يجلس ويحدّث الناس عن أخلاق الإسلام وعن الحلال والحرام، ويُردّد العبارة





المنتشرة بين الناس وهي (عز الله الشرع) ولكن (عز الله الشرع) إذا كان الشرع لا يَضْرِبُ مَصَالِحَهُ (عز الله الشرع) إذا كان الشرع يجعلني ألبس وأركب وأكل وأبني (عز الله الشرع) إذا كان الشرع مع ما أريد (عز الله الشرع) إذا كان الشرع لا يَضْرِبُني ولكن يَضْرِبُ بالشرع عُرْضُ الحائِطِ إذا تعارض مع مصالحه، وإذا هَدَّدَ مستقبله، ويحرمه من الدولارات والقصور والمقاولات، نعم عندنا الكثير من يفكرون كتفكير أهل الطائف.

فردوا عليه ردًّا منكرًا، وسخروا منه واستهزؤوا به؛ قال له أحدهم: هو يَمْرُطُ (أي: أَمْزِقُ) ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبدًا، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنّك أعظمُ خطرًا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله (وحاشا رسول الله من الكذب وهو الصادق الأمين) ما ينبغي لي أن أكلّمك!

وتأمّلوا وتصوّرُوا هذه الأحداث، وخذوا الدرس والعبرة منها؛ رجلٌ غريبٌ وحيد، بعيدٌ عن أهله وعشيرته ووطنه، يُصنَعُ به كل هذا، ماذا يكون موقفه؟ وكيف تكون حالته؟ ولكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك دعوته، بل مكث عشرة أيّام في الطائف يتردّد على منازلهم، يدعوهم إلى دين التوحيد، ولكن دون فائدة.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

فلمّا رأى منهم الاستهزاء والسبّ والشتم والطرد، طلب منهم أن لا تُخبروا أهل مكة بمجيئه إليهم، ولكن أهل الطائف تخلّوا عن أبسط مظاهر الخلق العربي، وهو إكرام الصّيف الغريب، كانوا أشدّ حِسَّةً ودناءة مما توقَّعه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أتدري ماذا فعل سادة ثقيف؟ لقد أرسلوا رسولهم إلى مكة؛ ليُخبر طواغيتها





وشياطينها بما حصل لمُحمَّد في الطائف، ولم يكتفوا بهذا، بل تخلَّوا عن أخلاق العرب كلها، فسَلَطوا عليه الصَّبيان والعبيد والسُّفهاء، ووقفوا صَفِين وأخذوا يرمونه بالحجارة، ويسخرون منه، ويسبُّونه بأقبح السباب والشتائم.

حَتَّى إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَرِفَع قَدَمًا، وَلَا يَضَعُهَا، إِلَّا عَلَى الْحِجَارَةِ وَسَالَتِ الدَّمَاءُ مِنْ قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ، وَشَجَّ رَأْسَ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي حَاوَلَ الدَّفَاعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَلْجَأَ السُّفَهَاءَ وَالصَّبِيَّانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَسْتَانٍ لَعْبَتِيَّةٍ وَشَبِيَّةِ ابْنِي رَبِيعَةَ، وَلَمْ يَجِدِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَمَا جَلَسَ وَالدَّمَاءُ تَنَزَفَ مِنْ قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ الْمُبَارَكَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ، وَرَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَذَكَّرُ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ يُجْلَدُونَ وَيُعَذَّبُونَ فِي مَكَّةَ، وَتَذَكَّرُ خَدِيجَةَ، وَتَذَكَّرُ أَبَا طَالِبَ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَرِفَعَ هَذِهِ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ.

ولكن يا ترى بِمِ سِيدَعُو النَّبِيَّ عَلَى الطائف؟ على الذين طاردوه وسبُّوه، وأدموا قدميه بالحجارة؟ لنستمع سويًّا إلى دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قَوَّتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمَنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ).

أَسْمِعْتُمْ إِلَى دَعَاءِ الَّذِي وَصَفَهُ رَبُّهُ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧)





لم يطلب من الله أن ينتقم منهم، وأن يسيل دماءهم، وألا يُبقي على أرض الطائف من الكافرين ديارًا، بل لم نسمع كلمة ذمٍّ واحدة على الذين طاردوه وسبّوه وأدموا قدميه بالحجارة؟ كان كلُّ همِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك اللَّحظة هو ألا يكون قد غضب الله عليه؟

رِضَاكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا يَا مَالِكَ النَّفْسِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
فَلَيْسَ لِلنَّفْسِ آمَالٌ تُحَقِّقُهَا سِوَى رِضَاكَ فَذَا أَقْصَى أَمَانِيهَا
فَنظَرَةٌ مِنْكَ يَا سَوْلي وَيَا أَملي خَيْرٌ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

فلَمَّا رآه ابنا ربيعة؛ عُبْتُه وشيبتُه، وكانا من ألدِّ أعداء الإسلام، وممن مشوا إلى أبي طالب عمّ النبي من أشرف قريش، يسألونه أن يكفَّ عنهم، أو يُخلِّي بينه وبينهم، حتى يهلك أحد الفريقين، ولكن في هذا المشهد انقلبت الغريزة الوحشية إلى الشفقة والتراحم.

فَدَعَوْا غلامًا لهما نصرانيًّا، يُقال له: عدَّاسٌ، فقالا له: خذْ قطعًا من هذا العنب، فضَعُهُ في هذا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذهب به إلى ذلك الرَّجُلِ، فقل له يأكل منه، ففعلَ عدَّاسٌ ثُمَّ أقبل به، حتَّى وضعه بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قال له: كل، فلَمَّا وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه يده، قال: (باسم الله) ثُمَّ أكل، فنظر عدَّاسٌ في وجهه، ثُمَّ قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك؟) قال: نصرانيٌّ، وأنا رجلٌ من أهل نينوى، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من قرية الرَّجُلِ الصَّالِحِ يونس بن متى) فقال له عدَّاسٌ: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ) فأكبَّ عدَّاسٌ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبِّلُ رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما





لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك، فلمّا جاءهما عدّاسُ قالا له: ويلك يا عدّاس! ما لك تُقبّل رأس هذا الرّجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيّدي ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلاّ نبيّ قالا له: ويحك يا عدّاس! لا يَصْرَفَنَّكَ عن دينك؛ فإنّ دينك خيرٌ من دينه.

ويشهد عدّاس للنبيّ بالرسالة، ويدخل في دين الإسلام، حقّاً: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) (١).

إنّ في إسلام عدّاس مواساةً للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلئن آذاه قومه، فهذا من العراق من نينوى يقبّل يديه ورجليه، ويشهد له بالرسالة ويُسَلِّم، وكأنّه يعتذر عن إيذاء أولئك السّفهاء، فبعد الصّدّ والإعراض من قومه، يأتي من يؤمن به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تلك البلاد البعيدة.

ثم يعود النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة بعد أن استقبل تلك المِحنَ راضياً، وتجرّع الشدائد صابراً محتسباً، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدّ من يوم أحدٍ؟ قال: (لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلَ بن عبد كلالٍ، فلم يُجِبْنِي إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، وإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فناداني، فقال: إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملكُ الجبال، فسَلَّم عليّ، ثم قال: يا محمّد، إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكُ الجبال، وقد

(١) سورة القصص: الآية ٥٦.





بعثني ربِّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؛ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً) (١).

والله! لو كان رسول الله ممن ينتقم لذاته، وممن ينتقم لقطرات دم نزت منه، وممن ينتقم لمكانته، وممن ينتقم لشخصيته؛ لأمر ملك الجبال أن يحطم تلك الرؤوس، وأن يُهدِّد تلك الجماجم؛ لتسيل الدماء من الطائف فيراها أهل مكة بمكة، ولكنه نَهَرَ الرحمة، ونبوع الحنان، إنَّه الرحمة المهداة، والنَّعمة المسداة، الذي ما خرج إليهم إلا وهو يعلم يقيناً أن هذه الأصلاب تحمل ربيعاً قادمًا، وتحمل أملاً يُشْرِق كالفجر، ويتحرَّك كالنَّسيم؛ ولذا قال الحبيب - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم -: (لا، إنَّما أرجو الله أن يُخرج من أصلابهم مَنْ يوحد الله عزَّ وجلَّ).

إنَّ رحلة الطائف، رغم ما فيها من أحداث مؤلِّمة، تركت لنا دروسًا هامَّة، ينبغي على المسلم الوقوفُ معها والعمل بها؛ لیسعد في الدُّنيا والآخرة، إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبكم من خلال رحلة الطائف، ويقول لكم: يا مسلمون:

إن أردتم العون والنصر والفرج من الله، فسيروا على ما سرتُ عليه، اصبروا على البلاء والمصائب كما صبرتُ في رحلة الطائف، اثبتوا على الطاعة كما ثبتتُ في رحلة الطائف، تمسَّكوا بدينكم وعقيدتكم كما تمسَّكت في رحلة الطائف، ضحُّوا ولو بالشيء القليل كما ضحيت بالغالي والنفيس في رحلة الطائف.



(١) متفق عليه





المقالة السادسة عشرة

رسالة عزاء إلى أهل البلاء^(١)

أيها الحبيب المبتلى؛ يا من قد ابتليت بفقد عزيز، أو ابتليت بمرض أو فاقة أو هم أو غم، أو عقوق، أو جار سوء إن رأى منك حسنة كتّمها وأخفاها وإن رأى منك سيئة أذاعها وأفشاها، ويا من قد ابتلي بصديق قد خان الأمانة ولم يحفظ العهد، ويا من قد ابتليت بزوجة سيئة تشيبك قبل أوان المشيب، ويا من قد ابتليت بزوج سيء لا يرقب الله فيك إلا ولا ذمة.

إلى نفسي أولاً وإلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه الرسالة؛ والتي من خلالها نتعرف على عدة حقائق منها:

✽ المؤمن يدرك حقيقة الدنيا .. وحقيقة الدنيا تتمثل في أن:

✽ أ - الدنيا دار امتحان وابتلاء.

اعلم - أخي الحبيب - أن الدنيا لا تخلو من بلية ولا تصفو من محنة ورزية لأن الدنيا دار بلاء، وهم وعناء، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

(١) د. بدر بن عبد الحميد هميسه

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.





وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (٢).

وطالما أن الدنيا دار امتحان وابتلاء فإن المرء فيها لا يسلم من المصائب
والمعائب.

المرء رهن مصائب لا تنقضي حتى يوسد جسمه في رُمسه
فمؤجّل يلتقى الردى في غيره ومعجّل يلتقى الردى في نفسه

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: عظمي وأوجز. فكتب إليه: إن رأس
ما هو مصلحك ومُصلح به على يدك: الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين،
واليقين بالتفكير، والتفكير بالاعتبار، فإذا أنت فكّرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن
تبيع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تُكرمها بهوان الدنيا، فإن الدنيا دار بلاء
ومنزل رحيل (٣).

قال الشاعر:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
بينما يرى الإنسان فيها مخبرا ألفيته خبرا من الأخبار
طبع على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٢) العنكبوت: (١-٣).

(٣) (البيهقي: الزهد الكبير ١/٦٨).





ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب قي الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار

ذكر ابن الجوزي بإسناده عن عبد الله بن زياد قال: حدثني بعض من قرأ في الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضاً شديداً، فعلم أنه مرض الموت وأشفق على نفسه فكتب لأمه معزياً في ذكاء قائلاً: يا أماه، إذا جاءك كتابي فاصنعي طعاماً واجمعي من قدرت من الناس ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، وتسألني هل وجدت لشيء قراراً.. إني لأرجو أن الذي أذهب إليه خيراً مما أنا فيه.. فلما وصل كتابه صنعت طعاماً عظيماً وجمعت الناس وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة.. فلم يتقدم أحد من هذا الطعام، فعلمت مراد ابنها فقالت: بني، من مبلغك عني أنك وعظمتي فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حياً وميتاً^(١).

وقال الإمام علي في وصف الدنيا: من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أته ومن بصر بها بصرتة ومن نظر إليها أعمته. ووصف ابن السماك الدنيا فقال: (من نال منها مات فيها ومن لم ينل منها مات عليها)^(٢).

يقول ابن الجوزي: (من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم).

(١) (تسليّة أهل المصائب ص ٢١، ٢٠).

(٢) (غرر الخصائص الواضحة ٥٥).





ب - الدنيا دار ممر لا دار بقاء ومقر.

لقد خلق الله تعالى الدنيا وجعلها دار ممر وليست بدار بقاء ومقر، قال تعالى: ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٦).

ولقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). رواه البخاري، وزاد الترمذي في روايته: (وعد نفسك من أصحاب القبور).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيناً حقارة الدنيا: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع) (٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء) (٣).

ومن وصايا المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحابه أَنَّهُ قال لهم: اعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا، وَرُوي عنه أَنَّهُ قال: من ذا الذي يبني على موج البحر داراً، تَلِكُمُ الدُّنْيَا، فلا تَتَّخِذُوهَا قَرَاراً (٤).

وطالما أن الدنيا ليست بدار خلود ولا مقر فعلى المؤمن أن لا يحزن على أي شيء فات منها.

وجاء في التوراة: «مَنْ أَصْبَحَ مَحْزُونًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ، وَمَنْ

(١) غافر: ٣٩.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٤) (ابن رجب: كشف الكربة في وصف أهل الغربة ١٨).





أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَتَهُ فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَيَّ غَنِيًّا فَتَضَعُصَعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلَاثًا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنِ اتَّخَذَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا» (١).

ولله در القائل:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حت ي تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ألا تأمن النار

يقول سلمان الفارسي: أضحكني ثلاث: مؤمل للدنيا والموت يطلبه وغافل لا يغفل عنه وضاحك بملء فيه لا يدري الله راضٍ عنه أم ساخط.. وأبكاني ثلاث فراق الأحبة محمد وصحبه وهول المطلع يوم القيامة ووقوفني بين يدي الله لا أدري الله راضٍ عني أم ساخط.

وها هو عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي ذات يوم فتبكي زوجته ويبكي أولاده لماذا يا عمر قال تذكرت منصرف الناس يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير.

ج- الدنيا لا يدوم نعيمها ولا بؤسها.

لما كانت الدنيا دار اختبار وابتلاء، ممر لا بقاء فإن نعيمها لا يدوم وكذا الشقاء فيها لا يدوم، فهي لا تبقي غنياً على غناه ولا فقيراً على فقره، ولا صحيحاً على صحته ولا مريضاً على مرضه، فعلى العاقل أن لا يغتر بها ولذلك نبه القرآن الكريم إلى الاعتبار بفنائها وزوالها: فقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ ﴾ (٢٠٥) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٠٧﴾ (٢).

(١) البيهقي: شعب الإيمان ١٢ / ٣٧٥.

(٢) الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧.





ومع أول غمسة للمؤمن في الجنة لن يتذكر شيئاً من عذاب الدنيا ولا من شدتها، ومع أول غمسة للكافر في النار لن يتذكر شيئاً من نعيم الدنيا ولا من متاعها.

عن أنس مرفوعاً: (يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول: لا والله ما رأيت نعيمًا قط، ويؤتي بأبأس أهل الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا والله ما رأيت بؤسًا قط)^(١).

طلب الرشيد ماء ليشرب، ثم قال لابن السماك: عِظني .. فقال له: بالله يا أمير المؤمنين لو مُنعت هذه الشربة بكم تشتريها؟ قال بنصف ملكي، قال: لو مُنعت خروجها بكم كنت تشتريه؟ قال بنصف ملكي الآخر، فقال إن ملكا قيمته شربة ماء لجدير أن لا ينافس فيه، فبكى هارون .. وقال له ابن السماك يوماً: إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عزَّجَلَّ والوقوف بين الجنة والنار، حين يؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تُقبل ولا عشرة تُقال، ولا يقبل فداءً بمال .. فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السماك لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة فقام فخرج من عنده وهو يبكي^(٢).

❖ فعلام يقتل الناس بعضهم بعضاً؟ وعلام يتنافسون؟

وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخه: أن احمد بن عمار الأسدي قال:

(١) رواه مسلم.

(٢) (الذهبي: تاريخ الإسلام ١٦/١٣).





خرجنا مع أحد المعلمين الصالحين في جنازة ومعه جماعة من أصحابه فرأى في طريقه كلاباً مجتمعة بعضها يلعب مع بعض ويتمرغ عليه ويلحسه فالتفت إلى أصحابه فقال: انظروا إلى هذه الكلاب ما أحسن أخلاق بعضها مع بعض، قال ثم عدنا من الجنازة وقد طرحت جيفة وتلك الكلاب مجتمعة عليها، وهي تهارش بعضها البعض، ويخطف هذا من هذا، ويعوي عليه وهي تتقاتل على الجيفة.. فالتفت المعلم إلى أصحابه فقال لهم: هل رأيتم يا أصحابي متى لم تكن الدنيا بينكم فأنتم إخوان، ومتى ما وقعت الدنيا بينكم تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة^(١).

ورد في بعض الآثار أَنَّ الله عَزَّجَلَّ أرسل ملك الموت ليقبض روح امرأة من الناس فلما أتاها ملك الموت ليقبض روحها وجدها وحيدة مع رضيعاً لها ترضعه وهما في صحراء قاحلة ليس حولهما أحد، عندما رأى ملك الموت مشهدها ومعها رضيعها وليس حولهما أحد وهو قد أتى لقبض روحها، هنا لم يتمالك نفسه فدمعت عيناه من ذلك المشهد رحمة بذلك الرضيع، غير أنه مأمور للمضي لما أرسل له، فقبض روح الأم ومضى، كما أمره ربه: (لا يعصون الله ما أمرهم يفعلون ما يؤمرون بعد هذا الموقف - لملك الموت - بسنوات طويلة أرسله الله ليقبض روح رجل من الناس فلما أتى ملك الموت إلى الرجل المأمور بقبض روحه وجدته شيخاً طاعناً في السن متوكئاً على عصاه عند حداد ويطلب من الحداد أن يصنع له قاعدة من الحديد يضعها في أسفل العصي حتى لا تحته الأرض ويوصي الحداد بأن تكون قوية لتبقى عصاه سنين طويلة.. عند ذلك لم يتمالك ملك الموت نفسه ضاحكاً ومتعجباً من شدة تمسك وحرص هذا

(١) (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣٧٨).





الشيخ وطول أمله بالعيش بعد هذا العمر المديد ولم يعلم بأنه لم يتبقى من عمره إلا لحظات .. فأوحى الله إلى ملك الموت قائلاً: فبعزتي وجلالي إن الذي أبكاك هو الذي أضحكك^(١).

قال الشاعر:

تَبَّاً لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ الحَوَوْنَ فَإِنَّهُ مَا زَالَ قَدَمًا لِلرِّجَالِ يُودَّبُ
وَعَوَاقِبُ الأَيَامِ فِي غَصَابَتِهَا مَضُضٌ يُذَلُّ لَهُ الأَعَزُّ الأَنْجَبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللهِ فَالزَّمْهَا تَفْرُ إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ البَهِيُّ الأَهْيَبُ
وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا إِنَّ المَطِيْعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ

❁ في أنبياء الله أسوة وقدوة:

إن الابتلاء سنة عامة وماضية في الخلق جميعاً يتساوى فيها الصالحون والفاسدون المحسنون والمسيئون، النبيون وغير النبيين، بل إن الأنبياء والرسول الكرام من أشد الناس محنة وابتلاء؛ إذ هم موضع القدوة ومناط الأسوة، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الأنبياء، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

والمتمامل في حياة الأنبياء والرسول الكرام تتضح له هذه الحقيقة جلية واضحة، فها هو الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلي بمعاداة أبيه وقومه له، وبالإلقاء في النار،

(١) (علي نايف الشحود: المفصل في شرح آية الولاء والبراء ٣٣٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣).





قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (١).

وقال الله تعالى عن موسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُذَوْنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (٢).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦١﴾ ﴾ (٣).

وقال تعالى عن حبيبه ومصطفاه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (٤).

والمتمامل في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد أنه ما من ابتلاء من ابتلاءات ومحن الدنيا إلا ابتلى بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ابتلي باليتم صغيراً، كما ابتلي بتكذيب قومه ومعاداتهم له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ (٥).

واتهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحاشاه - بالجنون وبالسحر وبالشعر، وحتى أنهم أخرجوه من بلده التي هي أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إليه، واتهم بأذى

(١) الأنبياء: ٦٨-٧٠.

(٢) سورة الصف: ٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.

(٤) التوبة: ٦١.

(٥) الأنعام: الآية ٣٤.





جيرانه من المشركين، وبتخلي بعض عشيرته عنه ومعاداتهم لدعوته، كما أنه قد ابتلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفقد عزيز، حيث فقد السيدة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا التي واسته بنفسها ومالها، كما فقد عمه أبا طالب في عام سُمي بعام الحزن، كذا فقد ستة من أبنائه في حياته: القاسم وعبد الله وإبراهيم، ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ولم تعش بعده إلا فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كما ابتلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمرض وظل يعاني من أثر السم الذي دس له في الطعام، حتى لحق بالرفيق الأعلى، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ « دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَجَلٌ لِي أَوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ) فَقُلْتُ ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَجَلٌ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا)» (١).

كما ابتلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفقر عن عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ .. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَءُ .. فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ (٢).

كما ابتلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطعن عليه في عرضه وشرفه حينما اتهم المنافقون والمرجفون السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الصديقة بنت الصديق، العفيفة الشريفة الطاهرة المطهرة والمبرأة من فوق سبع سموات بالفاحشة، إلى غيرها من المحن والابتلاءات التي مر بها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٤٤ والبُخَارِي ٣/٢٠١ و٨/١٢١.





فاصبر لكل مصيبة وتجلدِ واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نوبُ اليوم تُكشَف في غدِ
من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟ هذا سبيل لستَ عنه بأوحد
فإذا ذكرت مصيبة ومصابها فاذكر مصابك بالني محمد

يقول ابن القيم^(١): «الطريق طريقُ تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب .. وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» انتهى.

وأما الحكمة في ابتلاء الأنبياء؛ فقد قال ابن القيم^(٢): «فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم:
١) ليستوجبوا كمال كرامته.

٢) وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم.

٣) ولتمتلى صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم.

فهذا من بعض حكيمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة .. والنعمة السابغة، لا إله غيره، ولا رب سواه».

(١) الفوائد ص ٤٢

(٢) بدائع الفوائد ٢ / ٤٥٢





البلاء قد يكون بالنعمة: ❁

إن الابتلاء قد يكون بالنعمة؛ وليس بالنقم؛ فالمرء ينصرف فكره دائماً للآلام والمصائب والأحزان إذا قيل ابتلاء بل إن الابتلاء بالنعمة أشد وأعظم ولكن .. من أنعم الله عليه وغمره بواسع فضله ومنه ينصرف قلبه إلى الدنيا وملذاتها، وللراحة وهدأتها .. فقد يظلم و ينسى نفسه الغارقة في ملكوت نعيمه، فيقع منه الكثير والكثير مم يظلم به نفسه أو يظلم به غيره .. بقصد أو بدونه وإن نجى من الظلم، فليس أقل من أن ينسى أن يشكر تلك النعمة وينسبها لصاحبها جل شأنه سبحانه .. وهذا أعظم إجحاف وأشد ظلم .. بل هو الابتلاء الحقيقي!

* قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥) ❁ (١).

* وقال عن السابقين: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٦٨) ❁ (٢).

* وقال على لسان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٤٠) ❁ (٣).

قال الشاعر:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَيَتَّبِلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعْمِ

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٥

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٠.





وقد قص علينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالنعم فشكر منهم من شكر وكفر منهم من كفر.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَآتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي النَّاسُ. قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا قَالَ فَآتَى الْمَالَ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ شَكَ إِسْحَاقُ إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقْرُ قَالَ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا قَالَ فَآتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ. قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا قَالَ فَآتَى الْمَالَ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقْرُ. فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا قَالَ فَآتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ. قَالَ فَآتَى الْمَالَ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَانْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا قَالَ فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقْرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بِلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغَ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرَفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ. قَالَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ. قَالَ وَأَتَى الْأَعْمَى





فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي
فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَتُ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي
سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ
لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ
وَسُخِطَ عَلَيَّ صَاحِبَيْكَ^(١).

روي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير. أصابته مصيبة، فجزع منها وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني. فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلامذته، وأمر تلميذاً له. فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٢) فسأله فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانياً، وثالثاً فقال: معناه أن الإنسان لكفور، عداد للمصائب، نساء للنعم، مثل معاذ هذا، إن الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عَزَّوَجَلَّ. فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى؟! فقال معاذ: بلى، إن معاذاً لکنود عداد للمصائب نساء للنعم فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك.

ويحكى أن رجلاً ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أشكرُ الله أن وهبني لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً وبدناً على البلاء صابراً.

(١) أخرجه البخاري ٢٠٨/٤ (٣٤٦٤). و«مسلم» ٢١٣/٨.

(٢) سورة العاديات، الآية ٦.





البلاء للمؤمن تمحيص وتطهير وللعاصي تحذير وتذكير: ﴿

الابتلاءات التي تنزل بالعاصي تذكير وإنذار حتى يعود ويؤوب ويتوب والابتلاءات التي تنزل بالمؤمن تطهير وتمحيص وتكفير لسيئاته وذنوبه، ورفع لدرجاته وستر لعيوبه، قال تعالى ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ (١) وقال: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَغِشِّي طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَدَىٍّ، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» (٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُّهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكْفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنتُ اعْتَدَلْتُ وَكَذَلِكَ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٣/٢ (٨٠١٤) و«الْبُخَارِيُّ» ١٤٨/٧ و«مُسْلِمٌ» ١٦/٨ (٦٦٦٠).

(٤) رواه البخاري ٢٩٩٦.





الْمُؤْمِنُ يُكْفَى بِالْبَلَاءِ وَمِثْلُ الْكَافِرِ كَمِثْلِ الْأَرْزَةِ صَمَاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة». رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ»^(٣).

وجاء في بعض الآثار: «وعزتي وجلالي لا أخرج عبدا من الدنيا وأحب أن أرحمه حتى أوفيه بكل سيئة عملها سقما في جسده أو إقتارا في رزقه أو ابتلاء في نفسه أو ولده حتى أبلغ منه مثاقيل الذر وإذا بقيت عليه سيئة بعد ذلك شددت عليه بها سكرات الموت حتى يلقيني كيوم ولدته».

فاصبر على البلاء حتى يكون سبباً في رفع درجاتك، وتكفير سيئاتك، ولا تجزع فإن الجزع لا يفيد، وروى أن الحسن بن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما مات ضربت امرأته القبة على قبره سنة - وهو عمل لا يقره الشرع الحنيف - ثم رفعت فسمعوا صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا. وفي رواية: لما تسلت وقلعت الخيمة سمعوا هاتفاً يقول - ولا يرون أحداً - أدركوا ما طلبوا فأجابه: بل يئسوا فانصرفوا.

(١) أخرجه أحمد ٥٢٣/٢ (١٠٧٨٥) و«البخاري» ١٤٩/٧ (٥٦٤٤).

(٢) صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٣) أخرجه مالك (الموطأ) ٥٨٥. و«أحمد» ٢٣٧/٢ (٧٢٣٤) و«البخاري» ١٤٩/٧ (٥٦٤٥) و«النسائي»

في «الكبرى» ٧٤٣٦.





كان لأحد الملوك وزير حكيم وكان الملك يقربه منه ويصطحبه معه في كل مكان. وكان كلما أصاب الملك ما يكدره قال له الوزير "لعله خيراً" فيهدأ الملك. وفي إحدى المرات قطع إصبع الملك فقال الوزير "لعله خيراً" فغضب الملك غضباً شديداً وقال ما الخير في ذلك؟! وأمر بحبس الوزير.. فقال الوزير الحكيم "لعله خيراً" ومكث الوزير فترة طويلة في السجن.. وفي يوم خرج الملك للصيد وابتعد عن الحراس ليتعقب فريسته، فمر على قوم يعبدون صنم فقبضوا عليه ليقدموه قرباناً للصنم ولكنهم تركوه بعد أن اكتشفوا أن قربانهم إصبعه مقطوع.. فانطلق الملك فرحاً بعد أن أنقذه الله من الذبح تحت قدم تمثال لا ينفع ولا يضر وأول ما أمر به فور وصوله القصر أن أمر الحراس أن يأتوا بوزيره من السجن واعتذر له عما صنعه معه وقال أنه أدرك الآن الخير في قطع إصبعه، وحمد الله تعالى على ذلك. ولكنه سأله عندما أمرت بسجنك قلت "لعله خيراً" فما الخير في ذلك؟ فأجابته الوزير أنه لو لم يسجنه.. لصاحبه في الصيد فكان سيقدم قرباناً بدلاً من الملك فكان في صنع الله كل الخير.

كان أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جالساً بين الصحابة، ويسألون بعضهم: ماذا تحب؟ فقال: أحب الجوع والمرض والموت.

قيل: هذه أشياء لا يحبها أحد.

قال: أنا إن جعت: رق قلبي.

وإن مرضت: خف ذنبي.

وإن مت: لقيت ربي.





قال الشاعر:

سهرت أعين، ونامت عيون في أمور تكون أو لا تكون
فادراً لهم ما استطعت عن النفس فحملانك الهموم جنون
إن رباً كفاك بالأمس ما كان سيكفيك في غدٍ ما يكون

قال ابن رجب في فوائد البلاء: في البلاء تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع وفيه زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكساره لله وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين وأنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة وأن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق وأن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به.

ولقد ضرب علماء السلف الصالح مثلاً رائعاً في جعل البلاء سبباً للعزة والتفوق.

* فلقد ألف ابن الأثير كتبه الرائعة، ك: «جامع الأصول»، و«النهاية»، بسبب أنه مُقْعَدٌ.

* وألف السرخسي كتابه الشهير «المبسوط» خمسة عشر مجلداً؛ لأنه محبوبٌ في الجُبِّ!

* وكتب ابن القيم (زاد المعاد) وهو مسافرٌ!

* وشرح القرطبي (صحيح مسلم) وهو على ظهر السفينة!

* وجُلُّ فتاوى ابن تيمية كتبها وهو محبوبٌ!

* وجمع المحدثون مئات الآلاف من الأحاديث لأنهم فقراء غرباء.





تعزى بالصبر فهو الأجل: ❁

الصبر مقام الأنبياء والمرسلين، ومنازل المتقين المخبتين، وحلية أولياء الله المخلصين، وهو أهم ما نحتاج إليه نحن في هذا العصر الذي كثرت فيه المصائب وتعددت، وقلّ معها صبر الناس على ما أصابهم به الله تعالى من المصيبة، ولو يعلم المصابون ما ينالون من الأجر الكبير إن هم صبروا، لتمنوا أن مصيبتهم أشدّ بلاء، وأعظم نكاء.. فالصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له، ومن يتصبر يصبره الله، والصبر ضياء، بالصبر يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهمم وبين ذوي الجبن والضعف والخور، والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب: قال تعالى ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۗ﴾ (٧٥) ❁ (١).

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۗ﴾ (٢٤) ❁ (٢).

والمصاب هو من حُرِمَ الثواب الذي وعد به الملك الوهاب، حيث قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۗ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۗ﴾ (١٥٦) ❁ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۗ﴾ (١٥٧) ❁ (٣).

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْصَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ» (٤).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

(٢) الرعد: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٠٢) صحيح الجامع: ٨١٧٧.





وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ، حَتَّى يُوفَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

فعلى المؤمن أن يتحلى بالصبر ويعلم أن من رضي وصبر فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

عَنْ أَنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عِظْمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» (٣).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبِضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا الْعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» (٤).

✿ والصبر يتحقق بثلاثة أمور:

* حبس النفس عن الجزع والسخط.

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٣٢ (١٩١٤٢) و«الدارمي» ٢٧٧٧ و«مسلم» ٨/ ٢٢٧ (٧٦١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣١) و«الترمذي» ٢٣٩٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٤١٥ و«الترمذي» (١٠٢١).





* وحبس اللسان عن الشكوى للخلق.

* وحبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر.

كان عروة بن الزبير صبوراً حين أبتلي حكي أنه خرج إلى الوليد بن يزيد فوطأ عظماً فأصابته فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له أشرب مرقداً فقال: ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمني له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال: لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فينما هو كذلك إذ أتاه خبر ولده أنه طلع من سطح على دواب الوليد فسقط فمات فقال: الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحداً لقد أبقيت جماعة^(١).

وهذا هو نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: قالت له امرأته: لو دعوت الله أن يشفيك، قال ويحك! كنا في النعماء سبعين عاماً فهل مي نصبر على الضراء مثلها، فلم ينشب إلا يسيراً أن عوفي^(٢).

أغارت الروم على أربعمائة جاموس لبشير الطبري، فلقية عبده الذين كانوا يرعونها معهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس، قال: فاذهبوا أنتم معها، أنتم أحرار لوجه الله، وكانت قيمتهم ألف دينار، فقال له ابنه: قد أفقرنا! فقال: اسكت يا بني، إن الله اختبرني أن أزيده^(٣).

قال الشاعر:

لا تكره المكروه عند حلوله
كم نعمة لا يستهان بشكرها
إن العواقب لم تزل متباينة
لله في طي المكاره كامنة

(١) (مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٧٥).

(٢) الزمخشري: ربيع الأبرار ١ / ٤١٢.

(٣) الزمخشري: ربيع الأبرار ١ / ٤١٦.





وروى البيهقي بإسناده^(١) أن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بَلِغَهُ أَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِي رَحِمَهُ اللهُ مَاتَ لَهُ ابْنٌ فَجَزَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ جَزَعًا شَدِيدًا فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللهُ: يَا أَخِي عَزَّ نَفْسُكَ بِمَا تَعَزَّى بِهِ غَيْرُكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ فَعْلِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ فَعَلِ غَيْرِكَ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَمْضَ الْمَصَائِبِ فَقْدُ سُرُورٍ وَحَرْمَانُ أَجْرٍ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا مَعَ اكْتِسَابِ وَزْرِ؟ فَتَنَاولَ حَظَّكَ يَا أَخِي إِذَا قَرَبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَهُ وَقَدْ نَأَى عَنْكَ، أَلْهَمَكَ اللهُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ صَبْرًا، وَأَحْرَزَ لَنَا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أَجْرًا، وَكُتِبَ إِلَيْهِ:

إِنِّي مُعَزِّيكَ لَا أُنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ
فَمَا الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعَزَّى وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِينِ

وقال شريح: إني أصاب بالمصيبة فأحمد الله تعالى أربع مرات أحمده إذ لم تكن أعظم منها، وأحمده إذا رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني لاسترجاع ما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

فكم لله من منحة في محنة، وكم من غرق أعقبه فرج، وكم من عطية منحت في ثوب رزية.

قال مطرف بن عبدالله الشخير: أتيت عمران بن حصين يوماً، فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقي .. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إلي أحببه إلى الله .. وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته. فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه

(١) (مناقب الشافعي ٥١)





إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به، واكنم علي حتى أموت، إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم علي فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به؟! (١).

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى به ما قد مضى
فلربَّ أمرٍ مسخِطٍ لك في عواقبه الرِّضا
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضيا
الله يفعل ما يشا فلا تكن متعرضا

اللجوء إلى الله تعالى لكشف البلاء:

المسلم الحق هو الذي يلجأ إلى الله دائماً في اليسر والعسر، في الرخاء والشدة، في السعة والضيق وأن لا تسأل إلا الله جل وعلا؛ لأن الذي يملك الضر والنفع هو الله ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) (٢).

ولقد ضرب أنبياء الله ورسله الكرام المثل الأعلى في حسن اللجوء إلى الله في الشدائد والكره، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ

(١) (إحياء علوم الدين ٤/٣٤٩).

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٧.





مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشْفِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، وَزَوَّجْنَاهُ بِمَرْيَمَ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالشَّرَابِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرِهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٢﴾.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ» ﴿٣﴾.

قال الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجَبُ
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وليعلم العبد أن الدعاء يرد القضاء ويدفع البلاء، عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبُرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ﴿٤﴾.

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٨٣-٩٠.

(٢) سورة النمل، الآية ٦٢.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢).

(٤) أخرجه أحمد ٢٧٧/٥ (٢٢٧٤٥) و«ابن ماجه» ٩٠ و٤٠٢٢ و«النسائي»، في «الكبرى» ٢٠٩٣ الألباني

في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٢٣٦.





أنشد الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ
وأوطنتِ المكارهُ واستقرتُ
ولم ترَ لانكشافِ الضُرِّ وجهًا
أتاك على قُوطٍ منك غوثُ
وكلُّ الحاثاتِ إذا تناهتُ
فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

وقال آخر:

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ
إذا بليت فتق بالله وارض به
الله يحدث بعد العسر ميسرةً
والله مالك غير الله من أحدٍ
أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله
إن الذي يكشف البلوى هو الله
لا تجزعن فإن الصانع الله
فحسبك الله في كل لك الله

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزْنٌ: اَللّٰهُمَّ اِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ اُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، اَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَهُ بِهٖ نَفْسَكَ، اَوْ اَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، اَوْ عَلَّمْتَهُ اَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، اَوْ اَسْتَأْثَرْتَهُ بِهٖ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، اَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي اِلَّا اَذْهَبَ اللهُ عَزَّجَلَّ هَمَّهُ، وَابْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا اَنْ نَتَعَلَّمَ هُوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: اَجَلٌ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ اَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» (١).

وأخيراً - أيها الحبيب - تذكر قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المعونة تأتي من الله

(١) [رواه أحمد وصححه الألباني].





على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء»^(١).
واعلم بأن الله تعالى ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك
إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك؛ فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط
من عينه.

رزقنا الله وإياك الصبر على البلاء والشكر على النعماء والرضا بالقضاء
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٩١٩ في صحيح الجامع.





المقالة السابعة عشرة

دولة العلم والعلماء^(١)

دولة الإسلام التي في خاطري، التي تسكن قلبي وتعمّره، دولة تهتم بالعلم، وتعرف له مكانته اللائقة به؛ كما جاء في نصوص القرآن والسنة، وكما عهد حرصُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك عملياً، فالعلم هو منطلق الدولة للتقدم والريادة والبناء الحضاري، والعلماء هم حصن الدفاع الأول عنها.

ولقد كان العلم في دولة الإسلام بمكان كريم، والعلماء كذلك، فعزّت وسادت، وكانت رايتها كالشمس، فلما انحطّت مكانة العلم وأنصُرِف عنه، وانخفضت مكانة العلماء في نظر القائمين على دولة الإسلام - ذلّت ووهنت، وتسلّط عليها القويُّ والضعيف والقريب والبعيد!

❖ ماذا يحدث لو كانت دولة الإسلام دولة تهتم بالعلم وتقدر العلماء؟

يحدث الكثير، ومن ذلك الكثير أنه لن يبقى فيها رجل ولا امرأة، كبير ولا صغير إلا أتقن القراءة والكتابة، فمحونا أُمية الشعوب، وأطلقنا إيسارهم من قيد الجهل هذا كما علّمنا بفعله نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ جاء في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار الكتابة».

وبذلك شرع الأسرى يُعلّمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكلُّ مَنْ يَعْلَمُ عشرةً من الغلمان، يفدي نفسه.

(١) أحمد الجوهري عبد الجواد - ١٠ / ٩ / ٢٠١٧ م - (مقالات الإسلام ويب).





وكان زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن تعلَّم الكتابة والقراءة من الأسرى .
 وقبول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت - الذي كانوا فيه في أشد الحاجة إلى المال - يُرينا سُمُو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ (١).

واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم، وبيان منزلة العلماء وبهذا العمل الجليل يُعتبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول مَنْ وضع حجر الأساس في إزالة الأمية، وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام .
 ومن ذلك أن ينطلق أولئك الذين خرجوا من إसार الأمية باللغة المحلية إلى معرفة اللغات العالمية التي يتكلم بها الناس من حولهم، أو ينتشر بها علمٌ، أو تكون سبباً في معرفةٍ؛ فإن زيد بن ثابت لما أتقن القراءة والكتابة على أيدي أسرى بدر، أتاح له ذلك بعدها أن يتعلم لغتين، هما السريانية والعبرية؛ فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتعلّم له كلمات من كتاب يهود، قال: (إني والله ما آمن يهود على كتاب) قال: «فما مر بي نصف شهر حتى تعلّمته له» .. رواه الترمذي .. وفي رواية: «أمره أن يتعلم السريانية وعلل ذلك بأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يأمن اليهود أن يقرؤوا له كتاباً يأتيه منهم؛ لئلا يزيدوا فيه وينقصوا، أو يُبدلوا ويُغيروا، فتعلّم زيد ما أمره به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصف شهر».

(١) [العلق: ١ - ٤].





وزيد بن ثابت من الراسخين في العلم، وهو شيخ المقرئين والفرضيين، ومفتي المدينة المنورة، وكاتب الوحي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والتعريف على لغات الدنيا معناه الاطلاع على علومهم ومعارفهم، والتعمق في دراسة تجاربهم، فيحذر الشر والخطأ والزلل، ويستفاد من تجارب الخير والنفع التي فيها، ومن هنا يمكن التفاعل معها والزيادة عليها أو نقدها؛ كما فعل علماء أمة الإسلام، فقدّموا بذلك خدمات جليلة للعالم، كان من أثرها أن بقيت الحضارة العالمية تستفيد منها عدة قرون، وأُسِّست عليها نهضتها الحديثة.

إن دولة الإسلام التي أحلم بها، دولة تعرف قدر العلم، ولذلك فهي تنشط في تمكينه وتجديره في أرجائها؛ تُشيد المساجد، وتبني المكاتب والمدارس والمعاهد والدور والجامعات، وتُنشئ المطابع والمكتبات والنشرات، وتقيم المؤتمرات، وتدعم المجامع العلمية الكبرى، وتؤسس شركات علمية كبرى بين إدارتها، بل مع الدول الأخرى المجاورة لها، ذلك كله لتخريج أجيال من القادة والعلماء؛ يبنون على أسس متينة من البداية إلى النهاية، ويرون الكون كيف ينفع أحفاد محمد الدنيا بالعلم كما نفعوه بالهدى!

والعلماء في دولة الإسلام التي في خاطري ذو شأن وجاه خاص، إنهم بالمحل الذي أنزلهم الله إياه، دعاة وهداة، وأدلة على الخير، ومرشدين للناس جميعاً إلى طريق الصواب، يقولون للمحسن: أحسنت، ويشيرون بإثابته، ويقولون للمسيء: أسأت، ويوجهون بمعاقبته، وهم في المشورة والوزارة والقضاء، والفتيا والتدريس، والوظائف العامة - أهل إتقانٍ وقدوة لسائر الناس، يخصُّهم الحاكم المسلم بالمشورة - كلُّ في تخصُّصه - ويشير عليهم أهل كلِّ صناعة في صناعتهم.





ولعلماء الشرع مزيد اختصاص عن غيرهم من أهل الفنون والصناعات بالحكام والأمراء، وعلية الناس، فهم ينصحونهم فيما يرون من الخير أهلاً لأن يُفعل، وينصحون لهم بشأن الشرور التي يجب أن تُقطع؛ أداءً للأمانة التي أخذ الله عليهم الميثاق بشأنها؛ لئيبينوا الحق الذي آتاهم للناس ولا يكتموه.

خرج شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام مرة إلى السلطان في يوم عيد - إلى القلعة، فشهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبُّل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حُجَّتْكَ عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك بمُلك مصر، ثم تُبيح الخمر؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمر، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال العز: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١).

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

ليس المقصود أبداً من قرب العلماء إلى الحكام أن يستخدمهم الحكام لتسويغ أقوالهم وأعمالهم، وتمرير رؤاهم مهما يكن نظر الشرع إليها، فيتجبر الحكام على العلماء بما آتاهم الله من قوة السلطان، وليس المقصود كذلك أن يتجبر العلماء على الحكام أو يعلنوا للناس بمخالفاتهم، ويُجرِّئوهم على جاههم بما آتاهم الله من قوة الحجة وسلطان القرآن، كيف وهم معاً عباد الله المأمورون

(١) [الزخرف: ٢٢]





بإقامة الدين وحفظ الدولة، والتعاون على البر والتقوى؟!.

لكنه الحرص من الأخ على أخيه أن يقع في محارم الله فيهلك، ومن ثم ينصحه ويرشده ويهديه.

إن دور العالم في دولة الإسلام دورٌ مهم، إنه الميزان الذي تُوزن به الأقوال والأفعال، ولهذا يجب أن يكون نقيًا وطاهرًا، ويجب أن يكون كُفئًا لمكانته، وأهلاً لما انتصب له، ويجب أن يكون متقيًا لربه، عاملاً بأوامره، منتهياً عن نواهيه، وقافاً على حدوده، وأن يحافظ على نفسه من التفريط في الواجبات، والاقتراب من المنهيات، والوقوع في الشبهات، وأن يجعل الشرع الحنيف مرآته فيما يأخذ ويذر ويعطي ويمنع!.

فإن استطاع العالم أن يكون كذلك، كان أهلاً للقيام بالحق والوعظ به، وهداية الناس جميعاً - حكماً ومحكومين - إلى طريق الصواب والهداية، وإقامتهم على الحق والعدالة.

لقد قرأت تاريخ الأمة الإسلامية في كتب المسلمين وغير المسلمين، فما عرفتُ أمة من الأمم حظيت بهذا الإجماع من قبل الباحثين على أنها اهتمت بالعلم، وزخرت بالعلماء المتخصصين في كل ميدان، حتى بزت الأمم وفاقتها.

لقد كان الملوك والوزراء والأمراء والعامة، الأثرياء والفقراء، رجال الحكم والحاشية، وأفراد الشعب والرعيّة، الرجال والنساء، الكبار والصغار، العرب والعجم، كان الجميع يحرسون على طلب العلم وتلقّيه عن أهله، والعكوف على إتقانه وبلوغ الكمال فيه.





ولقد رأينا ملوكًا في سُدَّة الحكم يُساوون بالأئمة في العلم والمعرفة بالشرع والاجتهاد في مسائله، وقد ورد أن الإمام مالك قال في شأن مقابله للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور: ثم فاتحني - يقصد أبا جعفر - فيمن مضى من السلف والعلماء، فوجدته أعلم الناس، ثم فاتحني في العلم والفقه، فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه، وأعرفهم بما اختلفوا فيه، حافظًا لما روي، لقد جمع أبو جعفر بين الإمامتين: إمامة العلم وإمامة الحكم.

وكان لا يجهل ذلك من نفسه، فقد قال لمالك في مقابله له بِمَنَى: لم يبق في الناس أفتقه مني ومنك، وفي رواية: يا أبا عبد الله، ذهب الناس فلم يبق غيري وغيرك، ويؤكد ذلك مناظرات دارت بينه وبين مالك في المسجد النبوي.

وأما من نبغوا من رجال ونساء الأمة من العرب والعجم في هذا المضممار - فتحدثنا عنهم أفواه الأيام والليالي، فهي تُبصرهم كما تبصر الشمس والقمر، لتحدثنا عن أخبارهم في حلقات العلم؛ إقراء وتحديثًا، دراسةً ومناظرة، إملاءً وكتابة، شرحًا وتحشية، عرضًا وتقديمًا، تحليلًا ونقدًا .. إلخ.

لتحدثنا عن كتبهم؛ تفاسيرَ وصحاحًا، مسانيدَ ومعاجمَ، مطولات وأجزاء، رسائلَ وأقاصيصَ، كتبَ طبِّ وجبر وكييمياء، وأحياء وفلك، وكتبَ عروض وفروض .. إلخ.

لتحدثنا عن علومهم؛ قرآنًا وسنَّةً، نحوًا وصرفًا وأدبًا وبلاغةً، فقهاً وأصولًا، تاريخًا وأخبارًا وأنسابًا، جبرًا وإحصاءً وهندسةً، طبًّا وكييمياءً وفلكًا ... إلخ.

لتحدثنا عن إبداعهم علومًا وفنونًا واختراعات، لم تسمع الدنيا بها قبلهم، ولم يُفصَّ بكارتها غيرهم.





لتحدثنا عن شغفهم بمسائل العلم، حتى ليؤد أحدهم أن تكون أعضاؤه جميعًا
آذانًا؛ لتصغي له بألوان مختلفة من السماع، وعن شغفهم بالكتب والمكتبات،
حتى يبيع أحدهم أعزَّ ما لديه من أجل شراء كتابٍ.
لتحدثنا عن ذلك كله، وعن غيره من أمور لا تُحصى، كلهنَّ عجائبٌ، فعجائب
العلم والعلماء في دولة الإسلام لا تنقضي، وحديثهم يجلو الفؤاد الصادي.





المقالة الثامنة عشرة

إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا! (١)

سئلت السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت كان خلقه القرآن (٢).

قال المناوي في فيض القدير: أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعدته ووعيده إلى غير ذلك.

وقال القاضي: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن .. فإن كل ما استحسنته وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبته وتخلى عنه. فكان القرآن بيان خلقه .. انتهى.

وقال في الديباج: معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته.

وروى مسلم في صحيحه أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة. فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبيزي. قال: ومن ابن أبيزي؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين (٣).

(١) محمد حسن يوسف - ٢٧ من صفر عام ١٤٢٥ هـ (صيد الفوائد).

(٢) [صحيح / صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، ٤٨١١].

(٣) صحيح مسلم، ٨١٧ (٢٦٩).





قال السندي في شرحه على سنن ابن ماجه: (قال عمر): تقريراً لاستحقاقه الاستخلاف .. وقوله (بهذا الكتاب): أي بقراءته، أي بالعمل به. وقوله (أقواما): أي: منهم مولاك. (ويضع به): أي بالإعراض عنه وترك العمل بمقتضاه.

وهكذا كان توقير الرعيل الأول لكتاب ربهم في صدورهم، وكان السلف ينشئون أطفالهم على حفظ القرآن، ثم يحفظونهم الكتب الستة (أي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه).

وبعد أن يتمون ذلك يقومون بتحفيظهم مغازي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبذلك يشب الطفل المسلم على وعي بكتاب ربه وسنة نبيه - صلوات ربي وسلامه عليه - وهكذا حقق الإسلام تقدمه وتفرد، وازدهرت حضارة الإسلام على جميع الحضارات التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وتفوقت عليها؛ وذلك بحفظ كتابها والعمل بمقتضاه.

ثم خلف من بعد ذلك خلف أضاعوا هذه القيم، ولم يهتموا بكتاب ربهم، هان الله في نفوسهم، فأهانهم الله بما اقترفوه من ذنوب، وقد ضرب لنا القرآن المثل على الأمة التي تضيع العمل بكتابها، فقال تعالى مخبراً عن بني إسرائيل، والخطاب للتذكرة والتحذير: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (١).

(١) سورة الأعراف: ١٦٩.





قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآية: يحكي الله تعالى عن اليهود أنه قد خلفهم خلف سوء، ورثوا التوراة عن أسلافهم، ولم يلتزموا بما أخذ عليهم فيها من عهود، على الرغم من قراءتهم لها.

فقد آثروا الدنيا على الآخرة، فاستباحوا الربا والرشا وسائر المحرمات، ويدّعون أنهم سيغفر لهم، وكلما أتاهم مال حرام أخذوه، ومنوا أنفسهم بالمغفرة كذباً على الله تعالى، وقد قرأوا في كتابهم ألا يقولوا على الله إلا الحق وفهموه، ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم.

وقال القرطبي في تفسيره: وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى به هؤلاء موجود فينا.

فقد روى الدارمي في سننه عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصرُوا قالوا سنبلع، وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئاً.

واستمر خط الابتعاد عن كتاب الله يمضي قدماً، بطيئاً وبشكل يخفى عن العامة في أول الأمر، ثم بخطى متسارعة وبصورة سافرة بعد ذلك، فبعد أن كانت الأمة مجمعة الكلمة على العمل بكتاب ربها، وتستمد تشريعاتها من أحكامه، بدأت في التخلي عنه شيئاً فشيئاً، فعاقبها الله بأن سلبه من يدها، إلى أن أصبحت لا تعمل به

وبالطبع كان هناك دوراً رئيسياً لأعداء الأمة في الوصول إلى هذه الحالة التي أصبحنا عليها.





فقد جاء الاحتلال الفرنسي فتعامل بقسوة مع الأمة، وحاول إجبار الأمة على التخلي عن تعاليم الدين بالحديد والنار، وبسبب إتباع هذا المنهج السافر، فلم تزد الأمة إلا تمسكا بدينها وبتعاليم كتاب ربها، ورغم أنه لم يكن قد بقي من الإسلام إلا طلاسمة وذكريات إلا أن الأمة وقفت صفاً واحداً في وجه من حاولوا تشويه صورة دستورها، ولذلك تعامل الإنجليز الذين أعقبوا الفرنسيين بصورة أكثر دهاءً ومكرًا ولكن بنفس المنطق والحزم في زحزحة الأمة عن دينها.

فيقف جلاستون - رئيس وزراء بريطانيا الأسبق - في مجلس العموم البريطاني يحث قومه على زعزعة الأمة عن دينها فيقول: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان».

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر - في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر -: «إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».

ويسير المنصرون الذين رافقوا هذه الحملات على نفس الخط.

فيقول المنصر ولیم جيفورد بالكراف، في كتاب جذور البلاء: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه».

ويقول المنصر تاكلي في كتاب التبشير والاستعمار: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً».





يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً.

ويقول المنصر ذاته تاكلي في كتاب الغارة على العالم الإسلامي: «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد تززع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية».

واستدعى ذلك الأمر العمل على عدة محاور وفي نفس الوقت.

فتم إلغاء الكتابات والحد من تأثيرها وإضعاف مكائنها في النفوس، وبالطبع لا يختلف أحد في أن الكتابات كان قد أصابها شيء من القصور، ولكن كان يجب العمل على علاج تلك الأخطاء الناجمة والتي تراكمت عبر الزمن وليس إلغائها تماماً، وتزامن هذا مع الإبقاء على الأزهر - كمؤسسة دينية - قائماً مع إضعاف مكانته وزعزعة ثقة الناس فيه بإنشاء المدارس الأجنبية اللا دينية إلى جانبه، والمساعدة إلى تعيين خريجي هذه المدارس في مختلف الوظائف المرموقة وبأجور مرتفعة للغاية، مع عدم توفير فرص عمل لخريجي الأزهر (وبالأخص حملة القرآن منهم)، وإن وجدت فهي ضعيفة الأجر.

وهكذا بدأت النظرة إلى القرآن واللغة العربية تتغير في نفوس الناس! ومع رثاثة حال حملة القرآن وخريجي المدارس الدينية، ووجهة خريجي المدارس اللا دينية، بدأت هذه النظرة الجديدة تتغلغل في النفوس، ليتجه المجتمع بأكمله نحو هجران القرآن!! ولم يعد فخراً للأسر أن ترتبط بمن يحمل مؤهل ديني، لضعف منزلته الاجتماعية في المجتمع، مع ما تركه هذا من آثار عميقة في نفوس





هؤلاء الأفراد، الذين شعروا أنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بسبب اتجاههم للدين، فكان أن مقتوه في داخل نفوسهم، وسعوا بكل الطرق إلى عدم تكرار تجاربهم، وصار طموح أي فرد في المجتمع أن يصبح طبيباً أو مهندساً أو ضابطاً. ولم تعد تجد من يحلم أو تحلم له أسرته بأن يكون « عالم دين » أو « دارس فقه » أو حامل للقرآن «، وتواكب مع هذا صناعة نجوم في المجتمع يشار إليها بالبنان تبعد تماماً عن الإسلام وقيمه، وغُيبت عن عمد نماذج رجال الدين أو رموزنا الدينية من صفحات الجرائد أو المجلات أو وسائل الإعلام الأخرى حتى يستقر هذا الاتجاه في النفوس.

وبدأ المخطط بتحويل كتاب الله من قوة حاكمة دافعة للمجتمع إلى مجرد كتاب يحمل ذكريات، تُغير عليه قوى الشر ولا يتحرك المسلمون للدفاع عنه، وتنتشر من حوله الخرافات.

وهكذا يصبح القرآن الكريم الذي هو حياة الأمة، رمزا للموت فيها، فلا يقرأ إلا في سرادقات العزاء، ولا تكاد تسمع القرآن الكريم في مكان حتى تسأل عمّن توفي!!! وجعلوا من فاتحة الكتاب - التي هي دستور حياة المسلمين، والتي كان حرص الشارع على قراءتها سبع عشرة مرة على الأقل يومياً، وفي كل ركعة من الصلوات المفروضة - وسيلة لجلب الرحمة على الأموات، فلا تذكر ميتا حتى يقال « اقرءوا له الفاتحة»!!!.

وصدق فيهم قول ربي عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠) (١).

(١) سورة الفرقان: ٣٠.





قال ابن القيم في كتابه القيم «الفوائد»:

وهجر القرآن أنواع:

- * أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.
- * الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.
- * الثالث: هجر تحكيمة والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.
- * الرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.
- * الخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

وجميع هذه الأنواع من هجر القرآن واقعة بيننا ومتفشية فينا الآن، ومن صور هذا الهجران ما يلي:

- * عدم قراءته: فمن منا يقرأ القرآن يوماً؟!*
- * إن القرآن مقسم إلى ثلاثين جزء، ومتوسط كل جزء عشرون صفحة، فهل من الصعب قراءة عشرين صفحة يوماً؟*
- * إنه أمر لا يستغرق منك سوى نصف ساعة، إن قراءة الصحف اليومية تستغرق من المرء أكثر من ساعة يوماً، فهل قراءة تلك الصحف أهم من قراءة القرآن؟!*

* وسماع القرآن: لقد استبدلناه بسماع الأغاني ومشاهدة الأفلام والتمثيلات





ومتابعة المباريات.

* وأخلاقنا الآن في وادٍ وما ينادي به القرآن من التحلي بقويم الأخلاق في وادٍ آخر.

* ونعرف حلاله وحرامه ولا نقف عندهما، بل نتفاخر بالتملص منهما، ونصم من يلتزم بهما بالسذاجة وقلة الخبرة.

* وتعلمنا كيف نجادل لا لإثبات تعاليم ربنا ولكن لكي نتفلسف منها، ونعمل بغيرها، ظننا أن التقدم الخادع الذي أحدثته الأمم من حولنا إنما مرجعه للتخلي عن الدين، فلما تخلينا عن ديننا انحرفنا وزغنا عن طريق التمكين.

* التخلي عن التحاكم إليه في حياتنا وفي معاملاتنا.

* تركنا فهم معانيه ومن ثم تدبر آياته، وأصبح معظم ما نعرفه عنه عكس المراد به.

* تركنا تعلم لغته ولجأنا إلى لغات المستعمر، وأصبح تجنب الحديث باللغة العربية والرطانة بهذه اللغات مصدر فخر وإعزاز بيننا.

* تركنا التداوي به ولجأنا إلى الاعتماد على الأسباب المادية فقط.

إني لأعجب من أمة تهجر كتاب ربها وتعرض عن سنة نبيها، ثم بعد ذلك تتوقع أن ينصرها ربها؟ إن هذا مخالف لسنن الله في الأرض، إن التمكين الذي وعد به الله، والذي تحقق من قبل لهذه الأمة، كان بفضل التمسك بكتاب الله عَزَّجَلَّ، الدستور الرباني الذي فيه النجاة مما أصابنا الآن، إن الذين يحلمون بنزول النصر من الله لمجرد أننا مسلمون لواهميين، ذلك أن تحقق النصر له شروط؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ





كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ
مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (١).

كما أن ما بعد النصر له شروط؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ
﴾ (٤١) (٢).

فعودوا إلى كتاب ربكم تنالوا نصره في الدنيا وتدخلوا جنته في الآخرة.



(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سورة الحج: ٤١.





المقالة التاسعة عشرة

تسعة أسباب لكظم الغيظ! (١)

كلنا نواجه هذا اللون من الاستفزاز الذي هو اختبار لقدرة الإنسان على الانضباط، وعدم مجاراة الآخر في ميدانه، وهناك عشرة أسباب ينتج عنها أو عن واحد منها ضبط النفس:

✽ أولاً: الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين معه والرفق به.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطْرًا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٢).

وفي هذه الآية فائدة عظيمة وهي: أن الناس يجتمعون على الرفق واللين، ولا يجتمعون على الشدة والعنف؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطْرًا غَلِيظًا لَأَقْبَلِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).

وهؤلاء هم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والسابقين الأولين؛ فكيف بمن بعدهم؟!

وكيف بمن ليس له مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الناس؛ سواء كان من العلماء أو الدعاة أو ممن رياسته أو وجهة؟!

(١) سلمان بن فهد العودة (موقع الإسلام اليوم).

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.





فلا يمكن أن يجتمع الناس إلا على أساس الرحمة والرفق.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ شَتَّمَهُ: «يَا هَذَا لَا تُغْرِقَنَّ فِي سَبِّنَا وَدَعْ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا فَإِنَّا لَا نُكَافِي مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ».

وَشَتَّمَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ: «إِنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ».

وشتّم رجل معاوية شتيمة في نفسه؛ فدعا له وأمر له بجائزة.

فلا بد من تربية النفس على الرضا، والصبر، واللين، والمسامحة؛ هي قضية أساسية، والإنسان يتحلّم حتى يصبح حليماً.

وياسناد لا بأس به عن أبي الدرداء قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ».

فعليك أن تنظر في نفسك وتضع الأمور مواضعها قبل أن تؤاخذ الآخرين، وتذكر أن تحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، التي أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقولها لأهلنا إذا دخلنا، بل قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (١).

وأن نقولها للصبيان والصغار والكبار ومن نعرف ومن لا نعرف.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» (٢).

(١) سورة النور: من الآية ٦١.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.





وعن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ».

لهذه التحية معان، ففيها معنى السلام: أن تسلم مني، من لساني ومن قلبي ومن يدي، فلا أعتدي عليك بقول ولا بفعل، وفيها الدعاء بالسلامة، وفيها الدعاء بالرحمة، وفيها الدعاء بالبركة.. هذه المعاني الراقية التي نقولها بألستنا علينا أن نحولها إلى منهج في حياتنا، وعلاقتنا مع الآخرين.

❁ **ثانياً: من الأسباب التي تدفع أو تهدئ الغضب سعة الصدر وحسن الثقة؛ مما يحمل الإنسان على العفو.**

ولهذا قال بعض الحكماء: «أحسنُ المكارم؛ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ وَجُودُ الْمُفْتَقِرِ» فإذا قدر الإنسان على أن ينتقم من خصمه؛ غفر له وسامحه، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣) (١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش: «مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا! أَخِ كَرِيمٍ وَابْنِ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ».

وقال يوسف لإخوته بعد ما أصبحوا في ملكه وتحت سلطانه: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢) (٢).

❁ **ثالثاً: شرف النفس وعلو الهمة، بحيث يترفع الإنسان عن السباب، ويسمو بنفسه فوق هذا المقام.**

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ عَظُمُوا حَتَّى يَذُلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ

(١) سورة الشورى: ٤٣.

(٢) سورة يوسف: ٩٢.





وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذَلِّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ

أي: لا بد أن تعود نفسك على أنك تسمع الشتيمة؛ فيسفر وجهك، وتقابلها بابتسامة عريضة، وأن تدرّب نفسك تدريجاً عملياً على كيفية كظم الغيظ.

وإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًا
فَإِنْ أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَيْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدًا

رابعاً: طلب الثواب عند الله.

إنّ جرعة غيظ تتجرعها في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا مَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْأَجْرِ وَالرَّفْعَةِ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ».

والكلام سهل وطيب وميسور ولا يكلف شيئاً، وأعتقد أن أي واحد يستطيع أن يقول محاضرة خاصة في هذا الموضوع، لكن يتغير الحال بمجرد الوقوع في كربة تحتاج إلى الصبر وسعة الصدر واللين فتفاجأ بأن بين القول والعمل بعد المشرقين.

خامساً: استحياء الإنسان أن يضع نفسه في مقابلة المخطئ.

وقد قال بعض الحكماء: «احْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِنَ التَّحَلِّيِّ بِصُورَتِهِ وَالْإِعْضَاءُ عَنِ الْجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَلَتِهِ».





وقال بعض الأدباء: «مَا أَفْحَشَ حَلِيمٌ وَلَا أَوْحَشَ كَرِيمٌ».

وَقَالَ لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ:

وَقُلْ لِنَيْي سَعِيدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ
أَعْرَكُكُمْ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيْمَةٍ
وَإِنْ تَكُ قَدْ فَاحَشْتَنِي فَفَهَّرْتَنِي

تُرْفُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْتِقُوا
بَصِيرًا وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَفُ
هَيْنًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَحْدَقُ

وقال غيره:

سَأَلَزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرَفُ قَدْرَهُ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَأَحْلُمُ دَائِبًا
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا

وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَيَّ الْجَرَائِمُ
شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلُ مُقَاوِمٍ
وَأَتَّبَعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَارِمٌ
أَصُونُ بِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ
تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمٌ

وفي حديث خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف، وقد ردوه شر رد تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ؛ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو





أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

سادساً: التدريب على الصبر والسماحة فهي من الإيمان.

إن هذه العضلة التي في صدرك قابلة للتدريب والتمرين، فمرّن عضلات القلب على كثرة التسامح، والتنازل عن الحقوق، وعدم الإمساك بحظ النفس، وجرب أن تملأ قلبك بالمحبة!.

فلو استطعت أن تحب المسلمين جميعاً فلن تشعر أن قلبك ضاق بهم، بل سوف تشعر بأنه يتسع كلما وفد عليه ضيف جديد، وأنه يسع الناس كلهم لو استحقوا هذه المحبة.

فمرّن عضلات قلبك على التسامح في كل ليلة قبل أن تخلد إلى النوم، وتسلم عينيك لنومة هادئة لذيذة.

سامح كل الذين أخطئوا في حقك، وكل الذين ظلموك، وكل الذين حاربوك، وكل الذين قصروا في حقك، وكل الذين نسوا جميلك، بل وأكثر من ذلك.. انهمك في دعاء صادق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَنْ يَصْلِحَ شَأْنَهُمْ، وَأَنْ يُوَفِّقَهُمْ..؛ ستجد أنك أنت الرابح الأكبر.

وكما تغسل وجهك ويدك بالماء في اليوم بضع مرات أو أكثر من عشر مرات؛ لأنك تواجه بهما الناس؛ فعليك بغسل هذا القلب الذي هو محل نظر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

(١) أخرجه البخاري ومسلم





صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يُنْظَرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ^(١).

فقلبك الذي ينظر إليه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من فوق سبع سموات احرص ألا يرى فيه إلا المعاني الشريفة والنوايا الطيبة.

اغسل هذا القلب، وتعاوده يوميًا؛ لئلا تتراكم فيه الأحقاد، والكرهية، والبغضاء، والذكريات المريرة التي تكون أغلالاً وقيوداً تمنعك من الانطلاق والمسير والعمل، ومن أن تتمتع بحياتك.

❁ **سابعاً: قطع السباب وإنهاؤه مع من يصدر منهم، وهذا لا شك أنه من الحزم.**

حِكْيَى أَنْ رَجُلًا قَالَ لَضِرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ: وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُ وَاحِدَةً؛ لَسَمِعْتَ عَشْرًا!
فَقَالَ لَهُ ضِرَّارٌ: وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُ عَشْرًا؛ لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً!.

وَفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَنِ الْأَذَى وَفِي الْخَرَقِ إِغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقًا
فَتَنْدَمَ إِذْ لَا تَنْفَعُنكَ نَدَامَةٌ كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُوبُ لَمَّا تَفَرَّقَا

وقال آخر:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ

وبالخبرة وبالمشاهدة فإن الجهد الذي تبذله في الرد على من يسبك لن يعطي نتيجة مثل النتيجة التي يعطيها الصمت، فبالصمت حفظت لسانك، ووقتك، وقلبك؛ ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿فَإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ❁^(٢).

(١) أخرجه مسلم

(٢) سورة مريم: من الآية ٢٦.





والكلام والأخذ والعطاء، والرد والمجادلة تنعكس أحياناً على قلبك، وتضر أكثر مما تنفع.

❁ ثامناً: رعاية المصلحة.

ولهذا أثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(١).

فدل ذلك على أن رعاية المصلحة التي تحمل الإنسان على الحرص على الاجتماع، وتجنب المخالفة هي السيادة.

❁ تاسعاً: حفظ المعروف السابق، والجميل السالف.

ولهذا كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إِنَّ الْحُرَّ مَنْ رَاعَى وَدَادَ لِحُطَّةٍ وَأَنْتَمَى لِمَنْ أَفَادَ لَفْظَةً.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) وأمثلة ذلك كثيرة.





المقالة الحشرون

ألا كُسرت أقلامٌ^(١)

إن الراصد لواقعنا اليوم - بل والمتغافل عنه - يرى بوضوح فشو القلم والكتابة، حتى صار يُنصب لها كل من هب ودب، فنتج عن ذلك أقلام هي غثاء كغثاء السيل وأصبح همّ بعض الكتّاب العلو والشهرة، ولو على طريقة الأعرابي الذي لطخ الكعبة - شرفها الله - بالقاذورات قائلاً: (أحببت أن أذكر ولو باللعنة) فتجد أحدهم - باختصار - يغرد خارج سرب العلماء وحماة الشريعة، ويسطر بقلمه ما يخالف الفطر السليمة، ويظن بذلك أنه أصبح ذائع الصيت، مستطير الشهرة.

والأمر ليس كذلك، إنها مسئولية عظيمة سيسأل عنها، وسيقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيحاسبه عن كل حرف سطره بقلمه، (فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

ألا كسرت أقلام .. لا تتأدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فمننه سبحانه تتابع عليهم، ونعمه تتوالى إليهم، من ساعة علوق أحدهم نطفة في رحم أمه، ولكنه يقابل هذه النعم بكفرانها، وجحود فضل المنعم بها سبحانه، مع أن الواجب على عبد ضعيف مثله أن يشكر الله تعالى بلسانه بالحمد والثناء، وبجوارحه في تسخيرها في طاعته ومنها: كفيه التي بها قبض على القلم، وأجرى مداده على الورق، فكتب بها ما لا يرضي من حرّكها، وإلى أولئك أقول اقرؤوا - إن شئتم -: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) ياسر بن عبدالله السليم - (صيد الفوائد).

(٢) سورة القلم: ٤٤.





ألا كسرت أقلام .. لا تتأدب مع كلام الله تعالى، فترى أصحابها لا يقفون عند حلاله وحرامه، ويهجرونه، ويرفضون التحاكم إليه، ويصرون على مخالفته، حتى وإن كانوا ممن يقرؤونه، فهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين به حق الإيمان، إذ لو كانوا كذلك حقاً لأضيت لهم المسالك، ولتفتحت لهم المدارك، ولما تجرأوا على أن يخرج منهم ولو حرفاً يخالف ما في الكتاب من الآيات والحكمة.

❁ وإلى هؤلاء أقول:

كفاكم هضمًا لحقوق كلام الله، حتى أصبحتم تساوونه بغيره من الكلام، أعيّدوا لكتاب الله تعالى حقه، تدبروه واستلهموا ما فيه من العبر، وأحسنوا الاستدلال به دون لوي لمعانيه، واحذروا فكلام الله تعالى حجة عليكم إن دعوتهم إلى ما نهى عنه أو نهيتم عما دعا إليه، كونوا من عباد الرحمن الذين ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٣) ❁ (١)

ألا كسرت أقلام .. لا تتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى قد جعل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إماماً وحاكماً، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يُقَسَّمُ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمَقْدَسَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الْإِنْقِيَادَ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) ❁ (٣).

(١) سورة الفرقان: ٧٣.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

(٣) سورة النساء: ٦٥.





أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة).

ألا كسرت أقلام .. لا تحترم العلماء والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

فبعض أولئك الكتاب استباح لحوم العلماء ونهش أعراضهم وشكك في فتاويهم (ونسف) أقوالهم وانتقص من قدرهم وأخذ أصغر أولئك - وكلهم صغار أمام علماءنا - (يناقش) فتاوى عالم طلب العلم قبل أن يخرج ذاك من بطن أمه!.

ومما يدل على خطورة إيذاء العلماء الذين هم مصابيح الأمة، ما رواه البخاري عن أي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيَا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ) الْحَدِيثِ

رَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: (إِنْ لَمْ يَكُنِ الْفُقَهَاءُ الْعَامِلُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ) وَيَا لَخَسَارَةٍ مِنْ تَوَعَّدَهُ اللَّهُ بِالْحَرْبِ!!

وإلى أولئك أقول ما قاله العلامة ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار متقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب).





ألا كسرت أقلام .. تدعو إلى خروج المرأة من بيتها وانسلاخها من عفافها باسم الانتصار لحقوقها، والتباكي على حرقتها المسلوبة - على حد زعمهم - وغايتهم الأولى هي: إنزالها في جميع ميادين الحياة، وبالتالي تختلط بالرجال، حتى تخلع الحجاب عن جسدها (بيدها) وتنزع الخمار عن وجهها (بطوعها) ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) (١).

وعلى أولئك أن يتقوا الله تعالى وأن ينشروا الفضيلة ويحاربوا الرذيلة ويحموا الأمة من شرور أهل الشر، وألا يخدموا الأعداء الذي يتربصون بنا وبوطننا المملكة العربية السعودية، الدولة الوحيدة في العالم التي يعلن ولي أمرها - أيده الله وأعزه بعز الإسلام - أن دستورها هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عذراً - أخي القارئ - فقد أكون أخطأت حين وجهت الخطاب في المقالة بضمير الجمع، وإلا فإن أصحاب تلك الأقلام هم في بلادنا المباركة قلة قليلة لا تكاد تذكر، ولا يشكلون في مجتمعنا أي نسبة.

✦ ختاماً:

فإن الكتابة نعمة من نعم الله تعالى يعطيها من يحب (ومن لا يحب) فعلى من أنعم الله عليه بقلم فصيح حسن البيان ألا يتردد في أن يزيد بعد أن يستزيد من المنهج الرباني ومن الهدي النبوي.

وواجبنا - جميعاً - أن نهتدي بهدي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونسير على ضوء





ستته ورتوي من معين نبوته، ونحمل أعلام هدايته و ننضوي تحت لوائه ونسقط
الرايات المشبوهة، والشعارات الزائفة، ونرفع شعار التوحيد والمتابعة عليه نحيا
وعليه نموت وفي سبيله نجاهد وعليه نلقى الله رب العالمين.





الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر لله أولاً وآخراً

فقد أتممت كتابي هذا وجمعت فيه ما أعجبتني

من مقالات قرأتها وحفظتها وأسميته

(عشرون مقالة أعجبتني)

الجزء الأول

ترقبوا .. الجزء الثاني

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من كتب هذه

المقالات الجميلة الموفقة

وبالله التوفيق .. وعليه التكلان

وهو المستعان





الفهرس

- الإهداء ٥
- المقدمة ٧
- انطلاقة ٩
- المقالة الأولى : لا تقرأ كتاباً بعد اليوم! ١١
- المقالة الثانية : اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم ٢٠
- المقالة الثالثة : لحوم العلماء مسمومة ٢٧
- المقالة الرابعة : استمتع برياضة المشي السريع ٣٧
- المقالة الخامسة : طور فكرك وتدبر أمرك ٤٢
- المقالة السادسة : مصادر التشكيك في الأحاديث! ٤٦
- المقالة السابعة : لغتنا والإعلام ٥٢
- المقالة الثامنة : دور المجتمع والإعلام ٥٦
- المقالة التاسعة : الدراسات المستقبلية وأهميتها في تعزيز الأمن الفكري ٦٧
- المقالة العاشرة : التغافل ؛ وأخلاق الكبار ٧٠
- المقالة الحادية عشرة : نصر الله والمناهج السعودية ٧٤
- المقالة الثانية عشرة : عواصف الحزم ٨٦
- المقالة الثالثة عشرة : العيد الوطني وتوحيد العبادة ٩٤
- المقالة الرابعة عشرة : الحرية .. (النشأة والغاية) ٩٨
- المقالة الخامسة عشرة : رحلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف ١٠٧
- المقالة السادسة عشرة : رسالة عزاء إلى أهل البلاء ١١٥





- المقالة السابعة عشرة: دولة العلم والعلماء ١٤١
- المقالة الثامنة عشرة: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا؟! ١٤٨
- المقالة التاسعة عشرة: تسعة أسباب لكظم الغيظ! ١٥٧
- المقالة العشرون: الأُكسرتُ أقلامٌ ١٦٥
- الخاتمة ١٧٠
- الفهرس ١٧١



التصميم الداخلي للكتاب

TharwatSultan@yahoo.com

توريات

Tharwat Sultan

للتواصل:  

00201019530152

